الجديد

١٩٨٠ • 1980

العدد ٧ تموز ١٩٨٠ ❋ الثمن ٣٠ ل. ا. ❋ מס׳ 7 No. – מחיר 30 ל״י – price 30 I.L

اوقفوا الفاشية !

עצור את הפאשיזם !



STOP FASCISM!

ماذا نقدم لك

AL-JADEED • אל-ג'דיד

في هذا العدد

الجديد

مجلة شهرية ثقافية ـ
تاسست في حيفا عام ١٩٥١

✶

عنوان هيئة التحرير :
حيفا
شارع مار يوحنا ٣٩ ـ
(وادي النسناس)
ص.ب ١٠٤
تلفون ٦٦٦٦٤٨ (٠٤)

✶

عنوان الادارة :
حيفا
شارع الحريري ٩
ص.ب ١٠٤
تلفون ٧ ـ ٥١١٢٩٦ (٠٤)

✶

تطبع في :
حيفا
شارع الوادي ٤٣
تلفون ٥٢١٤٥٧ (٠٤)

✶

المحرر المسؤول : المحامي حنا نقارة

✶

رأي الجديد

اليقظة .. اليقظة
ازاء اخطـــار الفاشيـــة !

ارتبط شهر تموز فى اذهان الناس ــ بغض النظر عن العلمية او الموضوعية ــ بالثـورة .. فاحتفـال الولايات المتحدة باستقلالها يقع فى ٤ تموز .. وسقوط الباستيل او عيد الثورة الفرنسية الكبرى يحل فى ١٤ تموز .. وثورة الضباط الاحرار فى مصر انفجرت فى ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ .. وثورة العراق التى قوضـت الملكية الهاشمية واخرجت البلاد من حلف بغداد نشبت فى ١٤ تموز ١٩٥٨ ..

ولعل هذا الارتباط او التداعى بين تموز والثورات مصادفة فاعظم ثورة فى التـاريخ ــ ثورة اكتوبـــر الاشتراكية الكبرى ــ هلت باشراقها فى تشرين الاول ١٩١٧ .. واحداث حاسمة كانت منعطفات مصيرية فى مسيرة الانسانية ــ مثل النصر على النازية ــ تمت فى اشهر غير تموز وغير اكتوبر ..

ومع هذا فالانطباع ، وبخاصة فى منطقتنا ، يربط بين تموز والثورة ، وذلك بسبب ثورتى مصر والعراق اللتان كانتا ، فى اطار العالم العربى وفى العقد السادس من هذا القرن اضخم حدثين منفردين تفاعلا تفاعلا ثوريا مع تطورات حركة التحرر القومى العربية .

وبالمقارنة سيربط المواطنون فى اسرائيل ، وبخاصة المواطنون العرب فى شهر تموز هذا العام بمشروع تعديل « قانون مكافحة الارهاب » الذى طرحه على بســاط بحث الكنيست وزير القضاء شموئيل تمير واكتسب بــه لقب الوزير الفاشى .

وسيعاقب القانون ، بعد مصادقة الكنيست على تعديل تمير ، كل من تماثل مع منظمة ارهابية او تعاطف معها فى مكان جماهيرى او بطريقة يكون التمـــاثل او التعاطف فيها جائز الرؤيـــا او السمـــاع فى مكـــان جماهيرى (عام) .

كذلك يعتبر التعديل جريمة يطالها عقاب القانون كل اجراء يعبر عن التماثل مثل رفع علم او ابراز رمز او شعار او اطلاق نشيد او هتاف .. وفى الوقت نفسه يجرم التعديل كل من يقوم بعمل يعبر بشكل واضح عن تماثل او تعاطف ..

فى يوم من الايام اعتبـــر حكام اسرائيل حركـــات التحرر القومى فى آسيا وافريقيا وامريكـــا اللاتينيـــة حركات او منظمات ارهابية .. وكانت وسائل اعلامهم تتهم الثوريين الوطنيين فى كينيـــا والجزائـــر وغيرهـــا بالارهاب وتصفهم بالارهابيـــين مقتفية بذلـك اثـر الامبرياليين الامريكيين والبريطانيين والفرنسيين ..

ولو سرى مفعول هذا التعديل آنـذاك لكان فى وسع السلطات الاسرائيلية ان تسجن وتغرم المواطنين الذين اعربوا عن عطفهم على المنظمات القومية والوطنية التى حاربت من اجل تحرر اقطارها من نير الامبريالية وارهابها ..

ولكن مشروع التعديل فى هذا الوقت بالذات لـــم يهدف الى معاقبة الذين يتماثـــلون مـــع « المنظمـــات الارهابية » !! بالمفهوم الاسرائيلى عامة .. انما جـــاء لمعاقبة التماثل مع « منظمة ارهابية » !! عينية .. مع قيادة حركة التحرر القومى الفلسطينية ، مع منظمـــة التحرير الفلسطينية التى يلتف حولهـــا الشعب العربى الفلسطينى باسره وتعترف بها ممثلا شرعيا وحيدا لذلك الشعب منظمة الامم المتحدة ، واكثرية الـــدول فيهـــا والحركات الثوريةفى عالمنا .

ولم يخف تمير ولا سائر الوزراء الذيـــن ايـــدوا التعديل بالاجماع انهم ارادوا بتعديلهم مواجهة الطـــلاب العرب الجامعيين الذين على حـــد قولهم يتماثـــلون ويتعاطفون مع منظمة التحرير الفلسطينية بالهتـــاف وبانشاد الاناشيد .. وبلبس « القمصان الفلسطينية » وبالتلويح بالعلم الفلسطينى .

وفى الوقت نفسه لم يغب عن فكر الجماهـــير العربية والعناصر الدمقراطية اليهوديـــة ان مفهـــوم « التماثل » و « التعاطف » مع « المنظمة الارهابية » اى مع منظمة التحرير الفلسطينية يتســـع ويشمـــل كـــل شيء ... التماثل السياسى والتماثل الادبى .. والتماثل الفنى ..

فمن يدعو الى الاعتراف بمنظمة التحرير ممثـــلا للشعب العربى الفلسطينى ، وينادى بحقها فى المشاركة فى عملية حل القضية الفلسطينية وتحقيـــق الســـلام العادل والمقيم فى المنطقة يطاله القانون المعدل ... كما يتعرض الى العقوبة والغرامة كل من يكتب قصـــة او يخرج مسرحية او ينشد شعرا يؤيد حقوق الشعـــب العربى الفلسطينى وحقه فى الكفاح المشروع من اجـــل

حريته واستقلاله واقامة دولته الوطنية المستقلة الى جانب اسرائيل ..

وهذا الفهم لماهية تعديل تمير ، هو الذى استنفر حتى الصحف الصهيونية مثل هآرتس ودافار وعل همشمار لتتحفظ من هذا التعديل فتعتبره خرقا للدمقراطية (البرجوازية) ومسا بالحريات التقليدية ، لانه سيوجه الى المواطنين بسبب مواقفهم السياسية ودعوتهم الى الاعتراف بمنظمة التحرير ..

وبحق اجمع الحريصون على الدمقراطية على ان مشروع تمير يفتح فجوة خطيرة فى سلطة القانون ويهدد الدمقراطية ..

***

فى معرض دفاعه عن مشروعه عبر التلفزيون الاسرائيلى قال تمير : يجب ان لا تصبح الدمقراطية (الاسرائيلية فى ظل حكومة التكتل طبعا) مثل دمقراطية جمهورية فايمر ، التى قامت فى المانيا فى اعقاب الحرب العالمية الاولى ، واستغلها هتلر والنازيون للاستيلاء على السلطة فى ذلك القطر ..

واراد بهذه المقارنة ان يشبه دعاة حقوق الشعب العربى الفلسطينى بالنازيين .. وحركتهم السياسية بالنازية ..

ما كنا نرغب فى اللجوء الى المقارنة بين ما يجرى فى هذه البلاد وما جرى فى المانيا فى فترة صعود النازية الى الحكم فيها ..

ولكن ما دام تمير اختار بنفسه ان يقوم بذلك فلا مناص لنا من ان نخوض هذا الموضوع ..

ولن نخوضه أصيلين انما ناسخين .. فهذه المقارنة اجراها فعلا جدعون رفائيل احد كبار موظفى وزارة الخارجية الاسرائيلية السابقين . كتب فى ((جروزلم بوست)) فى ٢٧ حزيران ١٩٨٠ قبل بضعة ايام من مبادرة تمير ..

وصل هتلر الى الحكم لا عن طريق انقلاب عسكرى (بوتش Putsch) انما نتيجة انحلال الدمقراطية البرلمانية فى المانيا .. وفى ظروف استنزاف الاقتصاد ، بفعل التضخم الاسطورى .. وتفاقم البطالة الواسعة ، وانجراف مكانة الحكومة .. وازدياد التمزق الاجتماعى وانتشار السويداء القومية ..

واضاف : هذه كانت تربة نمو النازية ..

ثم قرر : لقد استنفر هتلر قوى اليأس .. وحرضها الى درجة الحمى وسمم افكارها واطلق العنان للغضب بحيث دمر سدود الدمقراطية ...

وانتقل رفائيل بعد ذلك الى وصف الوضع فى اسرائيل فكتب ان المرض (ويقصد المس بالدمقراطية) لم يترك اسرائيل جانبا بل اتخذ شكلا خاصا يتوافق مع طبع الشعب القومى والتعقيدات والاضطراب الدولى .

واستطرد : ان مزاج الشعب متوتر ومتدن وكئيب .. التضخم يتفاقم حتى السماء ويخلق شعورا بالاحباط والهبوط الى القعر .. كما ان التضخم يفسد المقومات التقليدية فى السلوك الاجتماعى المسؤول ... ويمزق النسيج الاجتماعى ..

ثم قرر : ان النقاش حول الميزانية بدا ، لاول مرة فى تاريخ اسرائيل ، بعملية انحلال الحكومة .. ان فعاليات الفرق المتطرفة تحدد النقاش القومى .. والاحتجاج الدمقراطى على مخالفات القانون (ويقصد خرق ((غوش ايمونيم)) قرارات الحكومة والقانون) يتسم بالادب اكثر منه بالحيوية .. والناس يشاهدون ذلك من الجانب وهم مصعوقون تردعهم عدم كفاءة زعمائهم وعنف دعاة انقاذ البلاد . (ويقصد امثال وزير الاستيطان الاحتلالى شارون الذى قال ان الامن فوق الدستور — المحرر) .

ويمتدح رفائيل ردود الفعل العقلانية ، الا انه يشير الى التيارات الخطيرة التى يستطيع الديماغوغيون استغلالها ...

ومع انه يستبعد وقوع انقلاب عسكرى ، فهو يؤكد وجود اسباب للقلق حول دوام النظام البرلمانى ..

ان هذا الموظف الكبير السابق الذى ينتمى الى المؤسسة الحاكمة ، حتى ولو كان الحزب الذى يتماثل معه فى المعارضة ، لم يختر هذه المقارنة اعتباطا .. بل اختارها واعيا واراد بها التحذير من اخطار الفاشية دون ان يذكر ذلك عينيا ..

اما غيره من العقلانيين فلم يترددوا فى الحديث عن الفاشية الداهمة ..

واحدهم ، البروفسور اربيلى ، كتب فى مجلة حزب العمل النظرية ((مبجفان)) فى ايلول ١٩٧٩ ما يلى :

((علينا الاعتراف ان فى اسرائيل اناسا ذوى عقليات فاشية .. هم يريدون فرض ايديولوجيا واحدة فقط فى الحكم تحدد نظام المجتمع والتعليم والسلوك ... هم يريدون حكما لا يحتاج الى امتحان الانتخابات المتكررة)).

واضاف : ((من الممكن ان تنمو من الفوضى فاشية)) .

وعلى هذا الضوء يتضح موقع مشروع تمير القانونى فى عملية انحلال الدمقراطية الاسرائيلية — برلمانية وغير برلمانية — خلق التربة لسيطرة الديماغوغيين بذريعة انقاذ البلاد .. عملية زحف الفاشية على حياة البلاد .

ونؤكد هذا لان مشروع تعديل قانون مكافحة الارهاب .. هذا المشروع الفاشى .. جاء بعد سلسلة من الاجراءات والقوانين التى تتسم بالفاشية ، وبالعنصرية التى تؤلف عنصرا جوهريا من عناصر

— البقية على صفحة ٤٨ —

دراسة الجديد

الاســـلام والعمليـــة الثوريـة

طرح انتصار الثورة الايرانية ، بشعاراتها الاسلامية ، على بساط البحث مرة اخرى ، موضوع مكانة الاسلام في عمليات التطور المعاصرة .

وبسرعة تقدم منظرو الامبريالية والرجعية — بوصفهم حراس مصالح الاحتكارات الراسمالية المتعددة القوميات — الصفوف واكدوا ان الثورة الاسلامية في ايران تمثل ردة عن « المدنية المزدهرة » وعودة الى مفاهيم القرون الوسطى ..

وفي بلادنا رددت « معريب » هذا التصور فكتبت : « سيتابع العالم كله الاحداث (الايرانية) في الساعات القليلة القادمة ويراقب المنازلة المصيرية بين السلطة القانونية في ايران والمخلصين لها وبين رجل الدين الطاعن بالسن (آية الله الخميني) الذي يتوق الى اعادة عقارب التاريخ الى الوراء في بلاده والقائها من جديد في ظلام القرون الوسطى » (٢—٢—٧٩) .

ولكن بعض هؤلاء المنظرين في محاولاتهم تفسير هذه الظاهرة — البعث الاسلامي على حد تعبيرهم — انقسموا الى قسمين :

الاول عزاها الى خيبة امل المسلمين من النظامين الاجتماعيين العالميين . وفي هذا الصدد كتبت « تايم » الامريكية : « جذبت المسلمين المادية العلمانية وجربوها بشكليها الراسمالي والماركسي ، وغالبا ما اصيبوا بخيبة امل لانهم ربطوها ذهنيا بالاسياد الكولونياليين الذين ادخلوها الى اقطارهم » (١٧—١—٨٠) (١) .

والثاني عزاها الى التناقض بين الاسلام والغرب الناجم عن التناقض بين مفاهيم الاسلام (المتحجرة) والعصرنة التقنية التي يمثلها الغرب في سيته الحضاري ازاء تخلف المسلمين الذين قادوا التطور الحضاري في يوم مضى . (« تايم » ، العدد المذكور اعلاه) ..

وبين هذين القسمين هناك من تخبط عشوائيا وتقرر مثل ج. مونيرو : « ان اسلام القرن العشرين هو ايديولوجية الشيوعية الكونية ، المستندة مع ذلك الى امبراطورية شاسعة من احتياطات خيالية من المواد الاولية ومن جيوش فائقة التجهيز » (٢) .

بقلم الدكتور أميل تومــا

وبغض النظر عن التباين والتناقض في هذا « التنظير » اتفق منظرو الامبريالية والرجعية ان الاسلام ، بعد الثورة الايرانية ، اصبح عاملا معاديا من الضروري الالتفاف عليه وتحجيمه حتى لا يصبح خطرا على مصالح الامبريالية وبخاصة ان مصادر النفط الجوهرية في العالم الراسمالي تكمن في الاقطار النامية ذات الشعوب المسلمة .

ثم جاءت نجدة الاتحاد السوفييتي للثورة الافغانية التي تعرضت لتدخل الامبريالية الامريكية والقيادة الصينية المرتدة والرجعية الباكستانية .

وسرعان ما تحولت الامبريالية والرجعية عن خط مجابهة الاسلام بهذا الشكل او ذاك الى خط «مساندة الاسلام» وحمايته من العدوان السوفييتي — الشيوعي . وكتبت « الحوادث » ان بول هانز ، احد كبار عملاء دائرة الاستخبارات الامريكية (سي . آي . إي .) ، ينفذ المخطط الامريكي القائم على تفجير الصراعات الطائفية في الاقطار الآسيوية .. وقد صرح مؤخرا ان العالم الاسلامي بدأ مرحلة جديدة من الانتعاش الروحي ومن الممكن استثمار هذا الانتعاش لسنوات طويلة في خدمة الاستراتيجية الامبريالية . (١٩—١—٨٠) .

والسؤال : ما هو دور الاسلام في العملية الثورية ، على اعتبار انه قام بدور ملهم في الثورة الايرانية وفي انتصارها ولا يزال يقوم بدور حاسم في الصراع الدائر لحسم تطور ايران المقبل .

الاسلام واليقظة القومية المعــاصرة

لا نجـــدد او نبتدع فكرة اصيلة حين نقرر ان الحركات والثورات الاجتماعية منذ فجر الاسلام في القرن السابع لجأت الى اجتهادات عقائدية اسلامية لصياغة ايديولوجيتها او برامجها السياسية .. وهذا

بدأ بالثورة على الخليفة الراشد عثمان بن عفان وامتد على امتداد تاريخ الامبراطورية العربية الاسلامية .

ومن الممكن ان قوى الصراع الاجتماعي ـ الطبقي خلال هذا التاريخ الطويل اعتمدت في مواقفها السياسية ومنطلقاتها الاجتماعية على آيات قرآنية واحاديث نبوية رات فيها تأييدا لتلك المواقف والمنطلقات . .

وانقسام المسلمين بين سنة وشيعة رسم الى حد كبير مسيرة التطور التاريخي الاسلامي ولا تزال اصداؤه تتجاوب حتى اليـوم .

وبدون ان نعود الى منعطفات الصراع الاجتماعي الكبرى ـ ثورات القرامطة والبابكية والزنج مثلا ـ نقرر ان الاسلام شهد تيارين متناقضين : تيـار القوى الاجتماعية المظلومة والمستغلة (اليساري في لغة اليوم) وتيار القوى الاجتماعية الظـالمة المستغلة (اليمين ـ الرجعي) .

وبعد قيام الامبراطورية العثمانية ، التي اعتبرها سلاطينها خلف الامبراطورية العربية الاسلامية ، هدأت الحركات الثورية ـ السياسية والاجتماعية ، الى حد كبير ومرت الاقطار العربية ـ الاسلامية خلال حوالي ثلاثة قرون في ظـل النظام الاقطاعي وبطء التقـدم الاقتصادي والانحطاط الفكري ـ الثقافي .

واما حركات التمرد الاقطاعي (فخر الدين المعني الذي اقام دولة «عربستان» في لبنان في القرن السادس عشر وضاهر العمر الذي اقام دولته في فلسـطين في القرن الثامن عشر) فقد اكتسبت طابعا اقليميا والى حد ما قوميا .

وفي هذه الفترة الطويلة لم تغب التمردات والهبات الشعبية في مختلف الاقاليم الا انها كانت غضبات آنية نشبت احتجاجا على مظالم الاقطاع وبخاصة اعبـاء الضرائب والغرامات الاقطاعية الباهظـة .

اي ان هذه التمردات والغضبات لم تجر تحت شعارات اسلامية وكانت دوافعها اقتصادية ـ اجتماعية ومحركات بعضها منافسات الاقطاعية او حمائليـة اقطاعيـة .

وكان اخطر حدث في القرن السابع عشر حملـة ابراهيم باشا على سوريا (٣) (١٨٣١ـ١٨٤٠) . . ولكنه لم يجر بدوره تحت شعارات اسلامية انما تحت شعار قومي عربي . . وكان هدف الحملة اقامة الدولـة العربية الكبيرة التي توحد مصر وسوريا .

ولكن في مرحلة النهضة الاجتماعية التي اجتاحت المشرق العربي في القرن التاسع عشر عاد الاسلام الى احتلال مكان الصـدارة في تفكير المفكرين الرواد . . واستنجد هؤلاء بمفاهيمه في تحليلهم اسباب التدهور السياسي والاجتماعي وطرحهم الحلول لاصلاح الوضع .

وهكذا حين عالج المفكر العربي عبـد الرحمن الكواكبي (١٨٤٨ ـ ١٩٠٢) اوضاع السلطنة العثمانية استنتج ، حسب ما جاء في كتابه « طبائع الاستبداد » ، ان الاستبداد السياسي متولد من الاستبداد الديني . . و « ان هـذه الحالـة التي انتم عليها من التشويش والتشدد في امر الدين هي اكثر اسباب انحطـاط المسلمين بعد القرون الاولى (قرون الامبراطورية العربية الاسلامية ـ ا. ت.) في شؤون الحياة كما انحط قبلهم الاسرائيليون بما شدده وشوهه عليهم اهل « التلمود » وكما انحطت الامم النصرانية لما كانت ارثوذكسية مغلقة او كاثوليكية متشددة يتحكم فيها البطارقة والقسيسون بما يشاؤون تحت اسم الدين » .

وقرر : ان اسباب انحطاط المسلمين دينية واهمها عقيدة الجبر : وما توحيه من الاستسلام ، وسياسية : واهمها حرمان الامة من حرية القول والعمل ، وخلقية : وابرزها الجهل واليأس وفساد التعليم (٤) .

ومن المؤكد ان الكواكبي تأثر « بالوهابية » وكانت طليعة التيار السلفي في الاسلام ، اي العودة الى مفاهيم السلف الصالح وممارسته ، ولهذا دعا الى العودة الى الدين الصحيح واكد اهمية التمسك بالتوحيد ونبذ تعظيم الاضرحة والزعم باستخدام الجن .

ولكنه ، وقد عاش في ظروف تسرب افكـار الدمقراطية البرجوازية التي نشرتها الثورة الفرنسية الكبرى (١٧٨٩) ، دعا الى الاصلاح السياسي ورأى « ان الانسان لم يتوفق حتى الان في ايجاد حكومـة دستورية تحـكم بمشورة الشعب بمعنى الشورى الحقيقي » (٥) .

ورد السياسي المفكر التونسي خير الدين باشا التونسي (١٨١٠ ـ ١٨٨٩) على ائمة المسلمين الرجعيين الذين خدموا الحكام الاقطاعيين ولوحوا بالاسـلام ليحبطوا المسعى الاصلاحي . فكتب في كتابـه « اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك » : « ثم يأتي بعض الناس فينسبون ذلك (التدهور والانحطاط والاستبداد ا.ت.) الى طبيعة الاسلام ، والاسلام لا يمنع ان يقتبس الصالح من الامر حيث كان وممن كان » . . . و « الحق ان الامم الاسلامية لا تصلح الا بالنظـام الشوري الذي يقيد الحاكم » ، «فالعدل والحرية هما ركنا الدولة ، وهما اللذان كانا في المملكة الاسلامية فازدهرت ثم فقدا فذبلت ، ولم يكونا في الدول الاوروبية فانتابها الضعف والفساد ثم كانا فصلح حالها » (٦) .

ولعل اهم هؤلاء المصلحين ، رواد القرن التاسع عشر ، في المشرق العربي كان جمـال الدين الافغاني وزميله الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥) في تحرير صحيفة « العروة الوثقى » التي اعربت عن التيـار

الاسلامي الاصلاحي الشامل ..

وفي رأينا ان نشاط هذين الرائدين تمحور حول الكفاح من اجل الحرية والتخلص من الكولونياليه ـ الامبرياليه .. وحول دمقراطية الحكم .. والى حد ما حول الصراع الاجتماعي ..

* وكان من الطبيعي ان ينصب هجوم الافغاني وعبده على الامبريالية البريطانية التي استولت على مصر .. وكانت تتربص بالاقاليم العربية والاسلاميه المنضوية في اطار الامبراطورية العثمانية ..

وهكذا كتبت « العروة الوثقى » : « الحكومة الانجليزية عدوة المسلمين عداء شديدا لالتهامها الممالك الاسلامية ، تغذ السير الى آرابها سالكة جادتها المعهودة من اللين والمواربة والخديعة والمخاتلة » (٧) .

وبمثابرة حثت « العروة الوثقى » المسلمين والذين يتعرضون لسيطرة الامبرياليين (الانجليز في الاساس) الى الكفاح من اجل التملص من هذا النير الاجنبي الغريب .

ومن امثلة هذه الدعوة او التحريض على الكفاح هذا المقطع من مقال عالج قضية مصر : « الا ايها النائمون تيقظوا ، الا ايها الغافلون تنبهوا ، يا اهل الشرق والناموس ويا ارباب المرؤة والنخوة ، ويا اولي الغيرة الدينية والحمية الاسلامية ، ارفعوا رؤوسكم ، تروا بلاء منصب على اوطانكم ... تساهلتم في الذود عن حقوقكم المقدسة ، ولهوتم عن ما اضمرت لكم هذه الحكومة من الاهانة والتذليل ... اصبحتم على جرف المذلة ويخشى ان يقذف بكم بعد قليل في جحيم العبودية ... فالثبات الثبات وحذار حذار من التواني والتقاعد ... هذا وقت تنال فيه سعادة الدارين (اي الدنيا بالكفاح والاخرة بالقيام بواجب هذا الكفاح ا. ت) .. فلا تخافوا اعداءكم .. كونوا مع الله في نصره ينصركم ويثبت اقدامكم » (٨) .

ومن هذا المنطلق دعا الافغاني الى وحدة الدول والامارات الاسلامية ، اي دعا الى الجامعة الاسلامية..

وفي مقال « الوحدة الاسلامية » (٩) . توجت « العروة الوثقى » تحيتها بالآية « واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا او تذهب ريحكم » واستعرضت التاريخ العربي الاسلامي الزاهر .. وحملت على اولئك المترفين الذين « يحرضون على طيب في المطعم ولين في المضجع وتطاول في البنيان وتفاخر بالخدم والخول » ... فهؤلاء « صاروا في اعناق المسلمين سلاسل واغلالا » .. ودعت امراء المسلمين ، وقد وعظوا بسوء مغبة اعمال السالفين « الى اليقظة من الرقدة والوحدة والعمل » .. واعلنت انها لا ترتاب في ان العلماء العاملين ستكون لهم اليد الطولى في هذا العمل الشريف (١٠) .

والواقع ان هذين المفكرين عادا الكولونيالية ـ والامبريالية «عالميا» .. ولم يتقوقعا في رؤيتهما في اطار المسلمين .. وهذا ما يظهر من دفاعهما عن الشرقيين عامة ..

وهذا ما اكدته « فاتحة الجريدة » التي تصدرت العدد الاول من « العروة الوثقى » وجاء فيها :

« ان مجاوزة الحد في تعميم الاعتداء تنسي الامم ما بينها من الاختلاف في الجنسية (١١) والمشرب ، فترى الاتحاد لدفع ما يعمها من الخطر الزم من التحزب للجنس والمذهب ، وفي هذه الحالة تكون دعوة الطبيعة البشرية الى الاتفاق اشد من دعوتها اليه للاشتراك في طلب المنفعة » .

واضافت « الفاتحة » : « بلغ الاجحاف بالشرقيين غايته ، ووصل العدوان فيهم نهايته ، وادرك المتغلب منهم نكايته ، خصوصا في المسلمين منهم ، فمنهم ملوك انزلوا عن عروشهم جورا ، وذوو حقوق في الامرة حرموا من حقوقهم ظلما واعزاء باتوا اذلاء واجلاء اصبحوا حقراء واغنياء امسوا فقراء واصحاء اضحوا سقاما واسود تحولوا نعاما ولم تبق طبقة من الطبقات الا ومسها الضرر من افراط الطامعين في اطماعهم ... » (١٢) .

وانتهت الى القول بانها ستخدم الشرقيين وتحلل اسباب العلل .. وتنشر وسائل الخلاص وتدفع التهم الباطلة عن الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا .. ولن « تهن في تبليغ الشرقيين ما يمسهم من حوادث عمومية » .. وستراعي في سيرها تقوية الصلات العمومية بين الامم (١٣) .

ولكن هذه الدعوة الى استنفار الامم الشرقية لم تمنع هذا المنحى الاصلاحي من معارضة اليقظة القومية التي كانت تجتاح الاقطار المستعمرة .

وهكذا قرر الافغاني وعبده ان الرابطة الدينية هي الاقوى وكتبا في جريدتهم : « وهذا هو السر في اعراض المسلمين على اختلاف اقطارهم عن اعتبار الجنسيات ورفضهم اي نوع من انواع العصبيات ما عدا عصبيتهم الاسلامية ، فان المتدين بالدين الاسلامي متى رسخ فيه اعتقاده يلهو عن جنسه وشعبه ويلتفت عن الروابط الخاصة الى العلاقة العامة وهي علاقة المعتقد » (١٤) .

ونبع التاكيد على الدين من تصور الافغاني انه محرك الاصلاح السياسي والاجتماعي في العالم .. ولهذا كتب الى الشيخ عبد القادر المغربي في الاستانة : « لا بد من حركة دينية لاننا اذا نظرنا في سبب انقلاب حالة عالم اوروبا من الخشونة الى المدنية نراه في الحركة الدينية وذلك منذ عصر لوثيروس رئيس

الطائفة البروتستانتية » ... واضاف : « ان حركتنا الدينية هى اهتمامنا بتلع ما رسخ فى عقول العــوام والخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها الحقيقى مثل حملهم القضاء والقدر على معنى يوجب ان لا يتحركوا بطلب المجد ولا للتخلص من ذل » (١٥) .

* واعتمادا على الدين الاسلامى ، الذى امــر بالشورى ، وبتاثير افكار الدمقراطية البرجوازيــــة الشائعة فى ذلك الوقت فى اوروبا محرر الافغــــانى وعبده نشاطهما فى الدعوة الى النظام النيابى الى جانب دعوتهما الى مقاومة التحكم الكولونيالى ــ الامبريالى بالافكار الاسلامية .

وعلى الرغم من انهما دارا فى فلك الطبقـــة الحاكمة (الامراء والملوك) واستنفراها الى سلــوك الصراط المستقيم الا انهما نددا بالحكام الظالمـــين (الاقطاعيين فى الاســاس) ودعيا الى الثورة عليهم اذا تمادوا فى الظلم ..

وجاء فى مقال « الامة وسلطة الحاكم المستبد » الصادر فى « العروة الوثقى » المتوج بالاية : « ومــا ظلمهم الله ولكن كان انفسهم يظلمون » : « وان كــان حاكمها جاهلا سىء الطبع ، سافل الهمة ... ضعيف الراى .. احمق ... وجلب عليها (على الامة ا.ت) غائلة الفاقة وجار فى سلطنته عن جادة العدل ، وفتح ابوابا للعدوان ... عند ذلك ان كان فى الامة رمق من الحياة ... واراد الله بها خيرا اجتمع اهل الراى وارباب الهمة من افرادها وتعاونوا على اجتثاث هذه الشجرة الخبيثة » (١٦) .

ويبدو ان خبرة الافغانى الذاتية ، بعد اتصالاته مع عدد من حكام المسلمين امثال السلطان العثمانى عبد الحميد .. وخديوى مصر توفيق (١٧) دفعته ، بعد خيبة امله من صلاحهم ، دفعته الى الاعتقاد بان «القوة النيابية لاى امة لا يكون لها قيمة حقيقية الا اذا نبعت من نفس الامة ، واى مجلس نيابى يامر بتشكيله ملك او امير او قوة اجنبية محركة له فهو مجلس موهوم ، موقوف على ارادة من احدثه » .

* اما موقف هذين الرائدين من الصراع الاجتماعى فقد انعكس فى مقالات « العروة الوثقى » فى الدعوة الى العدالة والى الاهتمام بالفقراء ..

وكان هذا بديهيا لان الرائدين ، بغض النظــر عن صدورهما عن ايديولوجية اسلامية ، انتسبا الى الطبقة العليا ومفاهيمها الايديولوجية ..

وجمال الدين الافغانى الذى اتخذ مواقف تقدمية ازاء الكولونيالية الامبريالية واصول الحكم ، اتخذ فى الوقت نفسه مواقف رجعية اجتماعيا لانه لم يتخلص من اسار طبقته .

وهذا ظهر فى رده على الدهريين وهجومه فى هذا الكتاب على الاشتراكيين والشيوعيين والعدميين لانهم يسعون « لتقرير الاشتراك فى المشتهيات محو حدود الامتياز ودوس رسوم الاختصاص حتى لا يعلو احــد على احد » ... ورأى الخطر فى ذلك لان اختلال نظام المعيشة يؤدى الى التدهور والهلاك (١٨) .

بل ان الشيخ محمد عبده يعجب من الدعوة الى المساواة ويعلن فى احدى خطبه « انه لم يعد فى امة من امم الارض ان الخواص والاغنياء ورجال الحكومــة يطلبون مساواة انفسهم بسائر الناس وازالــة امتيازاتهم واستئنائهم بالحياة والوظائف بمشاركــة الطبقات الدنيا لهم فى ذلك » .. ثم يتســاءل « فهل تغيرت سنة الله فى الخلق وانقلب سير العالم حتى رضيتم واخترتم عن رؤية وبصيرة ان تشاركوا امثكم جاهكم ومجدكم وتساووا الصعاليك حبا بالعدالــة والانسانية » (١٩) .

ومع هذا نجد الافغانى فى كتابه اياه ، بعد الهجوم على الاشتراكيين والشيوعيين يستفز المعذبين فى الارض فيكتب : « انتم الفلاحين الفقراء انتم تشقون قلب الارض لتخرجوا اود عائلاتكم ، لماذا لا تشقون قلوب اولئــك الذين يسلبون ثمرة عملكم »(١٩ *) .

مقاومة الكولونيالية ــ الامبريالية ، القومية والملامح الاسلامية

والحقيقــة ان تيار الاصلاح الاسلامي ــ فى الميدانين السياسي والاجتماعي ــ لم ينفرد فى احتلال الساحة العامة فى الاقطار العربية (او الاقطار الاسلامية عامة) .

فقد تعايش معه دون مجابهــة التيار القومي الذي نشــا بفعل الاوضــاع الموضوعيــة ــ سيطرة الامبريالية والقهر السيــاسي والاستغلال الاجتماعي ونمو البرجوازية الجنينية وتاثيرات الافكار الدمقراطية البرجوازية الاوروبية .

ولهذا حتى داعية الاصلاح الاسلامي عبد الرحمن الكواكبي انتبه الى نمو المشــاعر القوميــة ودعا الى التماسك القومي .. فقد دعا ، اولا ، الى خلافــة عربية اسلامية مركزها الجزيرة العربية على اعتبــار ان عرب الجزيرة هم بناة الجامعة الاسلامية ، وهــم اقوى المسلمين عصبية ولغتهم العربية ، اغنى لغــات المسلمين ومصونة بالقرآن ولذلك فهي لغة كافــة المسلمين المشتركة ..(٢٠) ثم ناشد ، ثانيا ، قومــه

« واعني الناطقين بالضاد من غير المسلمين » الى تناسي الاساءات والاحقاد وما جناه الاباء والاجداد مؤكدا على العامل القومي : وكتب : « فهذه امم استراليا وامريكا قد هداها العلم لطرائق شتى واصول واسعة للاتحاد الوطني دون الديني والوفاق الجنسي (القومي ا.ت) دون المذهبي .. » وبعد ان ابرز خطر مؤامرات الاجانب اضاف : « نحن ندبر شأننا ، نتفاهم بالفصحى ، ونتفاهم بالاخاء ونتواسى في الضراء ونتساوى في السراء ، دعونا نجتمع على كلمات سواء الا وهي فلتحيا الامة ، فليحيا الوطن فلنحيا طلقاء (٢١) .

وحتى الشيخ محمد عبده ، بعد ان عاد الى مصر ، بدا يؤكد على كفاح الشعب المصري وهويته ويردد ان المصريين اضافوا الى الشعور الطبيعي والتقليد الديني محبة وطنية منشؤها التهذيب العمومي» (٢٢)

ولعل افضل من مثل التيار القومي العربي في المشرق العربي لفترة القرن التاسع عشر ، فترة اليقظة الفكرية الثقافية كان اديب اسحاق (١٨٥٦ — ١٨٨٥) ..

لقد حاول تحديد معالم القومية ونجح في ناحية (الامة جماعة من الناس تتجنس جنسا واحدا وتتسم بسمة واحدة ...) وفشل من ناحية اخرى (حين اسقط اللغة باعتبارها من لوازم الامة) .. الا انه تمسك بالقومية العربية وحاول تحديد اطارها الجغرافي ..

وفي مقالة « دولة العرب » كتب : و « الا فما للحجاز محجوز الانوار وما للشام مشؤوم الاحوال ولمصر منروبه الطالع بالعسر ، وما لعراق مؤذن العز بالفرات وما لحلب متناوبة النوب وما لليمن فاقد اليمن وما لتونس عديمة الانس وما الغرب (المقصود المغرب العربي ا.ت) منهمل الغرب .. الم يكن في كل هذه الاقطار نفر من اولي العزم تبعثهم الغيرة والحمية على جمع الكلمة العربية فيتلافون احوالها قبل التلاف متظاهرين كالبناء المرصوص كصخور تلاحمت فصار ركامها جبلا حصينا لا تؤثر فيه العواصف ولا تضعفه الزلازل » (٢٣) .

وبحق لاحظ احمد امين ، الكاتب المفكر العربي المصري ان الوعي القومي تصاعد في الاقطار المستعمرة وكتب في هذا الشان : « ثم بدا الوعي القومي للامم الشرقية يتنبه في اواخر القرن التاسع عشر ووجد في كل قطر زعماء سياسيين يعلمون اممهم دروس الحرية وحقهم في حكم انفسهم بانفسهم .. وجاء القرن العشرون فازدادت هذه الحرية قوة ، وقابل الغرب الثورة بالقوة والعنف بالعنف ، وواجه المطالبة بالحرية بزيادة التضييق على الحرية فازدادت كراهية الشرق للغرب » (٢٤) ...

وتراجع التيار الاسلامي ازاء صعود القومية .. وخاصة في العالم العربي حيث تبنت السلطة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد شعار الجامعة الاسلامية لاطالة عهد الاستبداد والقهر الذي ضام الجماهير العربية في الاقاليم العربية العثمانية (العراق وسوريا الطبيعية وغيرها) ..

واتضح ان عبد الحميد ، الذي استخدم لاول مرة في وثائقه لقب خليفة المسلمين اراد بهذا الاحتفاظ بالاقاليم العربية تحت شعار الوحدة الاسلامية ازاء نمو الحركات القومية العربية وليصد مؤامرة الدول الكولونيالية ــ الامبريالية .. وكان هذا طبيعيا فتلك الاقاليم كانت تزود خزينة السلطنة بالقسط الاوفر من الضرائب والدخل .. كما كانت مصدرا « للايدي العاملة » اي الجنود في الجيش العثماني .

ولكن محاولة السلطان اخفقت لسببين جوهريين نمو الحركة القومية العربية من ناحية .. ونمو الحركة القومية التركية التي تبلورت حزبيا في « تركيا الفتاة » من ناحية ثانية ..

ومع ان « تركيا الفتاة » افسحت المجال امام جمعية الاتحاد والترقي التي دعت الى المساواة القومية والدمقراطية وقامت بالانقلاب البرجوازي الدمقراطي في ١٩٠٨ الا ان صعود القومية التركية حسم في التطور لان قادتها اختطوا في ممارساتهم السياسية ، نهج التتريك (اي القضاء على قوميات السلطنة بفرض التركية عليها) وانطلقوا من مفاهيم « الطورانية » ، ايديولوجية الشوفينية القومية التركية .

ولهذا اخفقت كذلك الدعوة الى « الرابطة العثمانية » في تبديد المشاعر القومية العربية وغير العربية في السلطنة (او الدولة بعد اصدار الدستور والاطاحة بالسلطان عبد الحميد في عام ١٩٠٩) لان تلك الدعوة اعتمدت على ايديولوجية اصطناعية تتجاهل الواقع القومي الكائن في الساحة الحياتية .

ولا بد لنا عند هذا الحد من ان نلاحظ ان الدول الكولونيالية ــ الامبريالية واجهت في القرنين التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، عند استيلائها على المستعمرات ذات الشعوب المسلمة ، مقاومة شديدة ، مسلحة في بعض الاحيان ، جرت تحت شعارات دينية اسلامية .

وهذا برز على سبيل المثال في ثورة محمد احمد ابن عبد الله ، (١٨٤٤ — ١٨٨٥) المهدى ، في السودان فهذا الزعيم اعلن نفسه مهديا في ١٨٨١ وابلغ الاعيان وغير الاعيان انه المهدي المنتظر والزعيم الروحي

الذي اختاره الله فى اخر الزمان ليملا الارض عدلا ومساواه كما ملئت ظلما واضطهادا . وقد رى الكثيرون فيه مجاهدا ومجددا فى العقيدة الدينيه وانه انى ليزيل الاخطار والشوائب من الدين (٢٥) .

وحارب المهدي الذي انضوت تحت لوائه القبائل والجماهير المسحوقه الامبرياليه البريطانيه حتى وفاته فى ١٨٨٥ .. واستمرت حركته الثوريه حتى تغلبت عليها قوات الامبراطوريه البريطانيه فى ١٨٨٦ – ١٨٩١ .

ويشير المؤرخون الى ان حركات المقاومة للاحتلال الاجنبي (الفرنسي) فى المغرب العربي اتخذت شعارات دينية .. ولاحظ الدكتور عبد الكريم رافق ان ثورة الامير عبد القادر الجزائري فى الجزائر التي نشبت فى عام ١٨٣٢ اتسمت بشعارات اسلامية واعتمدت على دعوة الجهاد فكانت دعوتها عنصرا هاما فى جمع العرب والبربر تحت راية واحدة (٢٦) .

ولهذا حاولت الدول الكولونيالية – الامبرياليه مقاومه الدين الاسلامي باعتباره عقبه امام استمرار السيطرة الاجنبية على المستعمرات وهذا ما تيقظ عليه جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده وكتبوه فى « العروه الوثقى » كما اسلفنا ..

والواقع ان فرنسا الكولونيالية حاولت بدورها مقاومة الاسلام بشدة .. واعربت مجلة لافراس اسلاميك عن هذه السياسة فكتبت « واذا اردنا ان ننجح النجاح التام فما علينا الا ان نرغم المسلمين فى افريقيا الشمالية (اي المغرب العربي : المغرب الاقصى، الجزائر وتونس – ا. ت.) على التقمص بالجنسية الفرنسية قلبا وفكرا ، ومتى سهل لنا هذا الامر تلاشى الدين الاسلامي رويدا رويدا وقام مكانه حب فرنسا المحبوبة » (٢٧) .

ومن هنا كان طبيعيا ان تتسم مقاومة الشعوب احتلال الدول الامبريالية بلادها بشعارات اسلامية ..

ولاحظ قائد الحزب الاشتراكي الروسي والحركة الشيوعية العالمية ومؤسس الدولة الاشتراكية الاولى فى العالم ف. إ. لينين هذه الحقيقة وأكد على ايجابيتها على اعتبار انها تجسم مكافحة الشعوب الكولونيالية – الامبريالية من اجل الحرية القومية ..

وكتب فى معرض استعراضه تداعيات الثورة الروسية فى عام ١٩٠٥ فى المستعمرات :

« ويستوقف النظر ان الحركة الدمقراطية الثورية قد شملت الان كذلك الهند الصينية وجزيرة جاوة والمستعمرات الهولندية الاخرى التي يقطنها حوالي ٤٠ مليون نسمة .. وحملة هذه الحركة الدمقراطية هم اولا الجماهير الشعبية فى جاوة التي استيقظت بينها حركة قومية تحت لواء الاسلام » (٢٨) .

واستذكر نور الدين كيانوري ، السكرتير الاول لحزب الشعب الايراني – « توده » – هذه الفتره وابرز ان هذه الحركه شملت ايران ايضا وكتب ان « الشيعة ، وهي احدى الفرق الاسلاميه . لها علاقات تقليدية بالحركة الشعبية والثورية وساهم رجالها الدينيون مرات متكرره فى محاربة الغزاه الاجانب ولعبوا دورا مهما مثلا فى ثورة ١٩٠٦ – ١٩١١ » (٢٩) .

ومن المؤكد ان الامبريالية فى القرن العشرين ادركت ان محاربتها الاسلام سترتد عليها بالاضرار والخسران ولذلك بدأت فى حركة الالتفاف عليه وتساوقت مع الرجعيات المحلية : الاقطاعيين واسياد الارض وبعض العلماء المسلمين المتعاونين مع الرجعيات من اجل استغلال الدين الاسلامي فى تحقيق اغراضها وتسخيره لمقاصدها الاستعبادية .

مـا بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى

لا جدال فى ان ثوره اكتوبر الاشتراكيه الكبرى فى عام ١٩١٧ سلخت روسيا القيصريه عن النظام الراسمالي الامبريالي ودشنت عهد ثورات التحرر القومي والاجتماعي على الصعيد العالمي ..

وبداهة ان الامبريالية حاربت هذه الثورة بشراسه وحشية واستخدمت ترسانه اسلحتها للقضاء عليها ومنع امتدادها ..

وتجسدت حرب الامبريالية على الصعيدين : العملي بالتدخل العسكري المباشر وتأييد الثورة المضادة ، والايديولوجي بالتحريض على اسس النظام السوفييتي وترويج مختلف المزاعم الوضيعة حول مفاهيم الاشتراكية والشيوعية ..

ومن اهم الاسلحة الايديولوجية التي استخدمتها الامبريالية كان سلاح الدين .. فهذا تصورت ان يكون الاقرب الى مفاهيم الجماهير الواسعة « الجاهلة » حسب تصورات المنظرين الامبرياليين والرجعيين .

وعلى اعتبار ان شعوب اسيا الوسطى القائمة فى اطار روسيا القيصرية تدين بالاسلام امسكت الامبريالية براية الاسلام لتحارب العملية الثورية بينها ولتمنعها من المشاركة فى تاسيس اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية – الاتحاد السوفييتي – ، مكان الامبراطورية الروسية ..

ووجدت الامبريالية فى الاقطاعيين والمشايخ المتنفذين والعلماء الرجعيين الذين فقدوا مواقع استغلالهم الجماهير الشعبية سندا فى تآمرهم على النظام السوفييتي ..

وفى خضم هذا التآمر بعثت الرجعية ، وفى هذه الحالة بمباركة الدول الامبريالية ، وخاصة بريطانيا

(البقية على ص ٤٩)

سلمان ناطور

ومــا نسينــا

الشيخ الذي نتحدث عنه يبعث برقية الى ابن سعود . يحدثه عن خناجر يهودا

● الحلقة الثـالثة ●

لم يكن مجرد عادة فقط ان الشيخ المشقق الوجه الذي نتحدث عنه يأبى خلال اكثر من ٣٢ عاما ، الا ان يذهب يوميا الى ارض ام الزينات ، فيجلس تحت ظلال شجرة زيتون يمسح العرق الذي يتصبب عن جبهته ، ويستريح من مشقة الطريق التي قطعها من حارة الكسارة في دالية الكرمل الى الارض التي يغطيها الزيتون والواقعة قرب « رجمة » حجارة — هي كل ما تبقى من قرية كانت تعد اربعة الاف نسمة ، قرية عامرة ببيوتها باشجارها ، برجالها ونسوانها .. تدعى ام الزينات .. زينة قرى الكرمل .. المطلة على وادي الملح .. وتبتسم صباح كل يوم لمرج ابن عامر .. وتضحك لقرص الشمس و«ما بتنسا» ..

●انا قلبي مجروح .. محروق ..

قال الشيخ الذي نتحدث عنه .. ومسح العرق عن جبينه .. وتوقف هنيهة عن الكلام .. ومن عينيه انبعث ذلك الحزن .. ذلك الالم .. وتلك النقمة التي يحملها كلما خطرت في البال صورة « المنزول » الذي كان « يلفي عليه » ضيوف من الشرق ومن الغرب .. ومن كل بقعة في الارض سمع احد من اهاليها عن شعب يشعل الحطب في ساعات الليل موجها الدعوة للقريب والبعيد بان يحل ضيفا على قرية كانها كانت تعرف مسبقا انها تستعد للسفر .. تستعد للرحيل .. للهجيج .. كما يقول الشيخ ..

— انا قلبي مجروح ، ولو اني صحفي لابعث برقية لابن سعود واقول اه : انت عربي ؟ انت مش عربي ، انت مجوسي ! طياراتهم بتعبي من بنزينك وبتضرب الاطفال في لبنان .. انا قلبي مجروح ..

الجرح الذي ينزف من قلب الشيخ المشقق الوجه الذي نتحدث عنه .. لم تفتحه خناجر ابن سعود وحسب ، وان كان يقسم ان خناجر « زعما العرب » مغروزة في صدره ليس اقل من خناجر يهودا ابن يكنعام وزملائه الذين في بيته ويشربون القهوة كانهم من ابناء البيت .. وفي وقت مضى ايضا صوبوا البنادق .. واصدروا الاوامر بالا يبقى احد من اهالي القرية في بيته .. ولم يبق احد .. ولم يبق بيت هناك ... كل ما تبقى رجمة حجارة .. تُرب ارض فسيحة تغطيها اشجار الزيتون .

رجال ((الحج امين)) يربطـون خيولهم في ساحة البيكاديلي . وينفجر الشيخ باكيا وضاحكـا

— من عشرات السنين ما عرفت بلدنا يوم راحة .

واطلق الشيخ زفرة ، وكنا نريد له ان يتخلص من الالم الذي يعتصر في صدره ، لكن اكتشفنا انها مهمة مستحيلة لم يجدنا نفعا كل ما استنفدناه من كلمات المجاملة وما ادخلناه في ابواب التفاؤل ، وقدرة عجلات التاريخ على قلب الامور راسا على عقب ، وظهرت المهمة مستحيلة اكثر واكثر ، عندما ضحك الشيخ الذي نتحدث عنه ، وتعمقت الشقوق التي تقطع وجهه عرضا وطولا ، وهي التي تؤدي دورها في حالات البكاء والضحك على حد سواء ، مع كل ما في ذلك من سخرية وعبث يجعلك تعتقد ان هذا الشيخ لا فرق عنده بين ان يطلق ضحكة ، او قهقهة تهتز لها جدران الغرفة وبين ان ينفجر ببكاء شديد . وفي الحالتين يظل الجرح ينزف دما ، عندما يتذكر رجمة الحجارة .

ويذكرك الشيخ بالاهزوجة الشعبية التي انتشرت في حينه ، بين كل اهالي فلسطين وخصوصا جند « الحج امين » الذين جعلوا منها نشيدا وطنيا يميز فترة مضت :

بلفور خبر دولتك لندن مربط خيلنا

وسبحان الله ، كيف ان هذه النبوة « تتحقق »

في هذه الايام ، فاصبحت لندن اليوم « مربط خيول » الامراء العرب ، وان يكن التغيير تكتيكيا شكليا فاصبحت الفرس الشهباء من صنف البوينغ ٧٠٧ والجمل من صنف ال ٧٤٧ . وفي تلك الايام ، لولا ان الخرتوش كان مبرّدا ، والبواريد الطليانية التي اشتراها اهالي ام الزينات باربعة وعشرين جنيها فلسطينيا كل بارودة ، لولا انها كانت من بقايا الحرب العالمية الاولى ، لربط ابو زيدان الشوشاري حماره في ساحة البيكاديلي او اضعف الايمان في « ترافالغار سكوير » ..

ولنا عودة الى حكاية ابي زيدان .. عندما يحدثنا الشيخ عن عرس الشواشرة ..

دخل الزير ابن المهلهل على ظهر السبع . ولم يجرؤ أحد على أكل حمير العرب

عندما تمر على الشارع وتقطع كروم الزيتون ، يصعب عليك ان تتصور ان في هذه المنطقة كانت قريتان ، الريحانية وام الزينات . ولم تخف اثارهما بعد مسح البيوت عن « بكرة ابيها » ، بل عندما احتلت قوات الهجانا جنين في حزيران ، وصلت جرافات الجيش وقلبت الارض ، وزرعت «الكيرن كييمت » اشجار الصنوبر ، حتى اذا وصل اهاليها المشتتون في مخيم جنين وحتى الكويت وعمان ليشاهدوا ما تبقى من قريتهم ، فلن يجدوا سوى اشجار الصنوبر ، الرمز الاخضر لتحويل « صحراء فلسطين القاحلة » !! الى كروم ، واحراش كمهمة وطنية قام بها طلائعيو الهجرة الاولى والثانية والعاشرة !

قد يتبعثر حلم اهالي القرية في العودة الى اراضيهم وبيوتهم ، وهذا في حكم المستحيل ، لكن لنغرض ذلك جدلا مغلوطا ، فلن يتبعثر حلمهم في ان يشربوا من مية « بير الناطف » وكم كانت هذه الامنية فاتحة حديث طويل معهم ، ينتهي باكثر من حفنة ماء ، وباكثر من بئر ، وباكثر من كرم زيتون ، خصوصا وان حكاية هذا البئر ترتبط بالزير ابن المهلهل ، اكثر بكثير مما يرتبط به اكراد عين عيمق ، الذين يحرثون الارض ويفلحونها كمن يفلح ارضه « ابا عن جد » !، دون خجل او حياء . فيحكى ان الزير بنى على بير الناطف تصرا من رؤوس السباع التي انتشرت في المنطقة ، وقيل انه عندما نزل مرة ليشرب من ماء البئر ، وجد السبع نائما . فاراد له ان يواصل نومه ، فتركه ريثما يستيقظ ويهجم عليه ، وعندها يشهر الزير سيفه ويقطع عنقه ، لكن السبع غدره ، فافترس حماره ، وقرر الزير ان ينتقم منه ، فامسك به وربطه وعبأ قرابه ماء ، ووضعها على ظهر السبع ، وركبه هو ايضا حتى اثقل عليه وهو يردد :

اللي بده ياكل حمير العرب
بده يزازي تحت القرب

ودخل ام الزينات ، مكرما معززا ، على ظهر السبع ، فتعلم اهلها منه درسا في الشجاعة ، حتى نظفوا المنطقة كلها من السباع .. ومنذ ذلك الحين لم يجرؤ احد على أكل حمير العرب ..

ابو زيدان الشوشاري يتحدى اهل الطيرة وينتصر لاهل الدالية في طوشة عين الشمالية

والحديث عن الزير ابن المهلهل يرتبط على لسان الشيخ بالحديث عن ابي زيدان الشوشاري .

« كان زلمة شجاع وتحدى اهل الطيرة ! كانوا يحترموه ، مرة اتهموا اهل الدالية بقتل زلمة من دار الماضي ، قبع اهل الطيرة وهجموا على الدالية ، يومها كان ابو زيدان خيال الحصان نازل في الدالية ، وقعت الطوشة عند عين الشمالية ، وولع ضرب الدمش ، وراحوا ياكلوها اهل الدالية لولا ابو زيدان ، فخلع الحطة عن راسه وضربها في الارض وصاح :

ـ باطل ! انا ابو زيدان !

ووقف في وجه اهل الطيرة . فلما راوه قالوا : هاي كل اهل ام الزينات فازعين للدالية . فتركوا المنطقة ورجعوا » .

هكذا كان ابو زيدان الشوشارى ، شخصية معروفة في ام الزينات ، كان واحد من هالناس البسطاء ، كريم وبيته مفتوح ، خيال الحصان ، ويوم ان ولد زيدان قدم له اهالي الدالية هدية كل اراضي وادي الملح ، ويوم عرس اولاد الشواشره حضر كل اهالي المنطقة ، « من الملى للمى ، ومن عرب الصقر للبحر » .

فمن يعرف زيدان الشوشاري ، ومن يعرف اولاد ابي زيدان ، ربما انهم في جنين وربما انهم في سوريا ، وربما انهم خلف البحار والمحيطات ، لماذا لا يسألون عن الشيخ الذي تتحدث عنه وهو يتحدث عنهم في كل مكان وفي كل مناسبة .

طلب منا الشيخ ان نبلغهم تحياته ، ان يكتبوا اليه ، انه يريد ان يتعرف عليهم بعد هذا الفراق الطويل ، كان صديقا حميما لوالدهم ، اكتبوا اليه .

سيتذكركم ، وستتذكرونه ، على الرغم من الشقوق التي تقطع وجهه طولا وعرضا .

عبد الحسن كان واقفاً بين الرجـال ، فدخلت امـه لتنـاوله رغيف الخبز ، فقتلوه في أم الدرج .

هذه القرية الوادعة المسالمة ، لم يتشرد اهلهـا خوفا من احد ، فقد اعتادوا على الظلم وتحملوا الاتراك عندما كانوا يدخلون القرية لياخـذوا شبانهـا الى « السـفر برك » .. ومن كان غنيا كان يشتري ابنـه بخمسين مجيدية ومن كان فقيرا كان يجبر على المشى حافيا على الشوك الى ان يسلم ابنـه او نفسـه .. وتحملوا الانجليز يوم كانوا يطوقون القرية بحثـا عن الثوار ، فيدخلون البيوت ، بيتا بيتـا ، ويحطمون الاثاث وخوابي الزيت ، ويجمعون الرجال على البيادر ، ويختارون افضل الشبان ويتهمونهم بالانتساب الى الثـوار كما يسميهم الشيـخ الذي تحـدث عنه . و « المخربين » كما يرد ذكرهم في كتب التاريخ الصادرة هنا ، والتي تدرس في مدارسهم ، وكان على راس جنود الانجليز ضـابط واسمـه شيفر ، دخل القرية وامر الرجال بالخروج الى البيادر ، وكان يبحث عن شاب ، بهي الطلعة ، واسمه عبد الحسن ، ولما اوقفهم ساعات طويلة ، تحت اشعة الشمس الحارقة ، دون ان تعرف لقمة الخبز سبيلا الى افواههم — وعبد الحسن كان متخفيا بينهم — ، وصلت امراة عجوز تحمل رغيفا من الخبز وشقت طريقها بين الرجال الى ان اعترضهـا شيفر هذا ، فنهرها قائلا :

— عمن تبحثين ؟

فقالت والدموع تسح على وجنتيها :

— ابحث عن العبد ؟

— ومن هو العبد ؟ سالها الضابط .

فقالت : عبد الحسن !

فهز راسه ، وامرها بأن تناديه من بين الرجال . فنادته . فأمره بأن ينتصب امامه . فأخذ رغيف الخبز والقى بـه على الارض ، وامر جنوده بأن يسحبوه . فسحبوه وقتلوه في أم الدرج .

وام الدرج تحولت الى مقبرة للثوار .. وهكذا تحول « مربط خبيزه » — والضـابط شيفر لم يكن انجليزيا صرفا ..

لم ننته من الحديث عن ام الزينات ..

[البقية في العدد القادم]

لقاء مع الشاعر المصرى المناضل عبد الرحمن الخميسى

■ **تاريخ ميلادك بالتحديد ؟!**

● بعد تردد : ١٣ نوفمبر ١٩٢٠ فى مدينة بور سعيد . ولدت والمدينة تعيش احداث ثورة ١٩١٩ ، واعتقل الانجليز خالي وكان احد قادة الثورة بالمدينة يوم ميلادي .

■ **طفولتك السعيدة ؟!**

● عشت ما بين مدينتي بورسعيد والسويس مع امي حتى السابعة من عمري وجاء ابي من القرية وخطفني .. ذهب بي الى قريته « بنية النصر » ، كانت امي تحكي لي حواديث .. من الف ليلة وليلة .. كانت اول من زرع فى قلبي حب الناس والاشياء .

■ **مدرستك ؟!**

● لم تكن فى قريتنا مدرسة .. ارسلني ابي الى قرية « الزرقاء » على النيل : اقطاعيون وفلاحون عراة حفاة .. كان حرماني من امي .. وبعدي عن ابي فى المدرسة .. والتناقض الصارخ بين المدينة التي عشتها فى سنواتي الاولى ، والقرية التي اعيشها .. ما كانت تقوله لي امي ، وما اراه اليوم .. كلها حركت مشاعري .. اصبحت طفلا له ذكريات ! !

■ **شاعر انت فى عمرك ؟!**

● حاولت تقليد مواويل الفلاحين .. المواويل الحمر .. امشي على النيل .. من شجر السرو اخاطب الزرع والماء : فين انت يا ماما ؟!

جدى لابي يطلب مني ان اقرا الف ليلة .. وسيف بن ذي يزن .. وادهم ..

قضيت سنة فى مدرسة شيربن ثم المنصورة الثانوية .. كانت ظروف امي صعبة .

■ **وطريقك الى الثورة ؟**

● فى المنصورة الثانوية سنة ١٩٣٤ كانت نقطة التحول فى حياتي . قامت مظاهرات فى المدرسة ضد الانجليز .. زميلي ضرب بالرصاص .. حملته على يدي .. صورته لم تفارق حياتي .

■ **ومتى اصبحت قاهريا ؟**

● حضرت القاهرة فى سن ١٨ والتحقت بمدرسة القبة الثانوية .. بدات ابعث بقصائدي بالبريد الى المجلات العربية . قصيدة الليل .. ثورة . واكتب فى الرسالة والمقتطف . مات ابي وامي .. لم يعد لي عائل .. نمت فى حديقة عامة .. وفى مسجد .. وفى القطارات .. وعلى المقاهي حتى الصباح ..

اشتغلت كمساري اوتوبيس لاعيش .. ثم فى مكتبة .. . محل بقالة .. معلم اطفال فى مدرسة .. ثم بدات اقدم برامج فى الاذاعة .. واستمرت محاولاتي الادبية .. رومانتيكي متمرد منذ البداية .

■ **وبمن التقيت ؟**

● تعرفت على عزيز باشا، وقال لي اذا كنت تريد تحرير بلدك تعلم ضرب النار .. تعلمت ،وحملت مسدس واختبات وراء كوبري لقصر النيل .. اتصيد الانجليز .. لم انم !

فى هذه الاثناء اعلن عن وظيفة بمحطة الاذاعة فى مدينة يافا وكانت تعمل ضد النازي ، كتبت تعليقات ضد النازية والفاشية .. ارتبطت اكثر بقضية الديمقراطية .. كرهت الفاشية .

فى مدينة يافا تعلمت ايضا الدرس من الفلسطينيين .. بدا احتكاكي بالثوار العرب وتوطدت العلاقات بيني وبين الكثير منهم .. عرفت ان الكلمة هي الفعل .. وان قضية التحرير ليست تصيد بعض افراد من الانجليز .

عدت الى القاهرة بعد ان انتهت الحرب .. ساهمت فى تاسيس وبناء جريدة وطنية يومية هي جريدة « المصري » .. بدا توزيعها بخمسة الاف نسخة . وصل الى ٣٠٠،٠٠٠ .

■ **متى عرفت الاشتراكيين ؟**

● بدا احتكاكي فى هذه الاثناء بكل فصائل الثورة المصرية : وطنيين وليبراليين وماركسيين .. بدات اعرفهم عن قرب ، وشاركت فى نضالاتهم .. كتبهم فتحت عيني ومدت رؤيتي الى آفاق بعيدة .. كتبت قصصا فى الجريدة ، وكانت تتسم بالطابع الوطني والاجتماعي ، كانت حياة الفقر والبؤس .. تحرك مشاعري . وكذلك كانت مقالاتي السياسية ضد الانجليز وضد النظام الاجتماعي الفاسد . وكنت احرر ايضا بمجلة الحوادث المصرية وكانت تشن هجوما عنيفا ومباشرا ضد فاروق ونظامه ، مما ادى الى غلق المجلة ومحاولة القبض علي .. هربت ولجات الى الريف . عشت بين الفلاحين ولبست زيهم .. حموني . استمرت مطاردتي ... هربت من البوليس اكثر من مرة ، وحماني مكرم عبيد مرة عندما حاول البوليس القبض علي فى بيته. وضع الملك اسمي فى القائمة السوداء وضبطت هذه القائمة بعد الثورة مع محمود عبد المجيد الذي قتل حسن البنا واحد قادة الحرس الحديدي ..

فى هذه الفترة من حياتي تعمقت قناعاتي وعواطفي الوطنية والثورية والاجتماعية . اصبحت قضايا الاحتلال وتغير النظام الاجتماعي والتقدم هي التي تشغلني وعبرت مقالاتي وقصصي عن هذا المعنى ، قصة « دهبية » و « الجميلة جمالات » ... وكذلك قصائدي : ترنيمة الى الحرية .. ابو القاسم الجزائري .. قال عنها لويس عوض

انها اروع تعبير عن الرومانتيكية الثورية .

وبدات قضية السلام العالمي والنضال ضد تجار الحروب تلون كفاحنا .. كنت من المجموعة الاولى مع كامل البنداري وسيزا نبراوي ومحمد علي عامر والمرحوم يوسف حلمي التي انشات حركة السلام في مصر ، وكذلك ساهمت في اصدار مجلة « الكاتب » الاسبوعية عن مجلس السلام المصري .

ساهمت في حركة الفدائيين في القتال ، وصحبت مجموعات منهم وهي تقتحم المعسكرات وكذلك قمت بتحريض العمال المصريين على ترك العمل بمعسكرات الاحتلال ، فلما استجابوا للدعوة قدت مظاهرة معهم بلفت الاوف وقدمنا الى مكتب عبد الفتاح حسن وزير الشؤون الاجتماعية حينذاك واستجابت الحكومة للمطلب وعينوا بالحكومة .

روحي دائما تهيم بالحب والثورة .. نظمت بعد ذلك ديوان الحب : مرثية لزوجتي المرحومة فاتن الشوباشي .. وقد ترجم هذاالديوان الى الاسبانية والروسية والانجليزية والكازاخية والاوزبكية .

■ **عرفت السجن ؟**

● قضيت فيه مددا لم احد عن مبادئي ويقيني بالتحرر والتقدم الاجتماعي والسلام .

■ **واخر عهدك بالقاهرة ؟!**

● خلال معركتي بعد النكسة ضد التيارات اليمينية ، التي بدات تزحف على مصر .. كتبت سلسلة من المقالات ضد اجراءات السلطة واولها قرار سحب الخبراء السوفييت ولكن الحكومة اوقفت النشر ومنعتني من الكتابة .. ثم دبر لاعتقالي ، وعلمت بالقرار فغادرت البلاد سرا الى الخارج .

■ **من تعتبره معلمك ؟**

● كان معلمي الاول شاعر القطرين خليل مطران .. فتح لي وانا ما زلت شابا في الثامنة عشرة ابواب الادب العالمي .. كان معلمي الثاني هو سلامة موسى ، وقد لعب دورا هاما في حياتي من الناحيتين الفكرية والادبية وبخاصة في مجال ربط العلم بالادب وربط المجتمع بالفن والثقافة .

■ **كيف استقبلت نبا منحك جائزة لينين ؟**

● اعتبرها تقديرا وتاييدا لكفاح الشعب المصري من التحرر والتقدم والسلم ويسعدني ان اكون جنديا في هذا النضال .. ورمزا لنضال شعبنا العادل والشريف .

(عن اليسار العربي)

من رباعيات الخميسى

يا آسي الجرح قلبي في الدجى يكف
ومصر في ادمع العينين تنذرف
فارقت اهلي و جبابي وما عرفوا
بان شمس نهاري بعدهم تنكسف !

يا آسي الجرح رفقا إن لي املا
اني ولو لحظات املأ المقلا
بمصر قبل انطفائي في الأسى أجلا
يا آسي الجرح ما صب لمصر سلا !

يخرج زهر الروض من الوحل وتلد الريح نسائم
والظلمة وطن أسود ينمو فيه الفجر الباسم
ومن السم دواء يشفي العلة في الجسد الرازم
فانهض يا وطني للحرية من سجن الظلم الغاشم

هذا الطريق اليوم نحن نمر فيه لمنتهاه
وغدا سيشرع غيرنا في قطعه من مبتداه
فكيف يعرف قادمون وراءنا انا قطعناه
إن لم نخلف بعدنا اثرا لمن ياتي يراه ؟

الخضرة واحدة لكن الشجر الاخضر في وطني يبدو لي اسحر
والنهر هو النهر ولكن للنيل مذاقا سحريا يسكرني اكثر
قالوا ـ كيف ؟ وطعم الماء هنا وهناك والوان الدنيا ليست تتغير ؟
قلت ـ ملايين النسوة يتشابهن ولكن امراة واحدة هي امي

حوار

مع الدكتور فى القانون الدولى توفيق الصلح

هل تستطيع حكومة اسرائيل ان تضم القدس . وما هى وجهة نظر القانون الدولى ؟

منذ عدوان حزيران ١٩٦٧ تتنافس حكومات اسرائيل على اتخاذ القرارات ووضع التشريعات لضم مدينة القدس العربية ، كان آخرها مشروع القانون الذى تقدمت به غيئولا كوهين فى شهر ايار الماضي والذى اقر بتاييد الكتل الصهيونية من الائتلاف والمعارضة . ما هى حجج حكومة اسرائيل ؟ وما قيمة القرارات التى تتخذها فى مجلس الوزراء والكنيست ؟ وما هو موقف القانون الدولى من هذه القرارات ؟ هذه الاسئلة اجاب عليها الدكتور توفيق الصلح خريج جامعة « براغ » فى القانون الدولى .

س : ما هى قيمة القرارات التى تتخذها حكومة اسرائيل والكنيست بشان القدس ؟

ج : قرارات كنيست اسرائيل وحكومتها بضم مدينة القدس العربية ووضعها تحت السيادة الاسرائيلية كجزء لا يتجزا من اسرائيل ، تلزم مشرعيها فقط . لان مدينة القدس العربية هى جزء لا يتجزا من المناطق العربية التى احتلتها القوات الاسرائيلية فى حزيران عام ١٩٦٧ ، ولا تستطيع حكومة اسرائيل ان تتصرف بهذه المناطق كما تشاء وذلك لاسباب عديدة ، منها :

١ ــ وجود الشعب الفلسطينى على هذه الارض ورفضه ممارسات الحكومة الاسرائيلية .

٢ ــ وجود منظمة التحرير الفلسطينية كهيئة سياسية تمثله تمثيلا وحيدا وشرعيا وتعترف بها المنظمة الدولية ــ الامم المتحدة .

٣ ــ وجود انظمة وقوانين واعراف دولية ملزمة تمنع ضم مناطق محتلة الى سيادة دولة تفرض الاحتلال .

٤ ــ وجود المملكة الاردنية الهاشمية التى كانت قبل الاحتلال هى صاحبة السيادة المعترف بها دوليا .. على هذه المناطق .

٥ ــ قيام النزاع العربى الاسرائيلى الذى يمس جميع الدول العربية المجاورة لاسرائيل وبخاصة تلك التى احتلت اراضيها عام ١٩٦٧ ، ولهذا لا يمكن اجراء اى تغيير على هذه المناطق المحتلة دون موافقة جميع الاطراف المعنية ــ اسرائيل ، الدول العربية ومنظمة التحرير

س : ما هى حجج حكومة اسرائيل لضم القدس ، وهل هناك اعتبار قانونى دولى يسوغ الحق « الحق التاريخى » الذى تتمسك به ؟

ج : الحجة الاولى تستند الى ادعاءات توراتية (وعد ربانى) وتاريخية (مملكة داهود) . ومن هذا المنطلق تزعم الحكومة ،والاوساط الصهيونية التوسعية . انه يحق لكل يهودى الاستيطان على اى رقعة من المناطق التى تعتبرها « محررة » وليست محتلة . ودعاة الحق التوراتى ــ التاريخى يدعمون مطالبتهم باسرائيل الكاملة بحجة ان الاحتلال الاسرائيلى وقع نتيجة « لحرب دفاعية » لردع الاعتداء العربي على دولة اسرائيل . ويزعم هؤلاء « ان الاردن ومصر احتلتا عام ١٩٤٨ هذه المناطق (اى الضفة والقطاع) بشكل غير قانونى ، وكل ما فعلته حكومة اسرائيل انها عام ١٩٦٧ حررتها من هذا الاحتلال (!!) » . هذه الحجة استخدمها سفير اسرائيل فى الامم المتحدة ، حاييم هرتسوغ ، فى اجتماع الجمعية العمومية بتاريخ ٢٦ــ١٠ــ٧٧ .

٢ ــ وتزعم حكومة اسرائيل ان الاحتلال الاسرائيلى لا يعتبر خرقا للقانون الدولى . فمثلا اتفاقية جنيف الرابعة (المادة ٢ بند رقم ٢) تنص على ان « الاتفاقية تنطبق على كل حالات الاحتلال الجزئى او الكلى للاطراف المتعاقدة » . ولهذا لا ينطبق نصها على الوضع القائم فحكومة اسرائيل تدعى انه لا سيادة معترفا بها للاردن ومصر على الضفة الغربية وقطاع غزة . ولذلك فان اسرائيل محررة من قيود هذا البند فى الاتفاقية . ومن هذا المنطلق ، اى رفض الاعتراف بسيادة الاردن ومصر على هاتين المنطقتين ، فان حكومة اسرائيل لا تعترف بالاتفاقيات والقوانين

الدولية المتعلقة بالمناطق المحتلة .

٣ ـ تزعم حكومة اسرائيل ان اتفاقية جنيف تنطبق على الاحتلال قصير الامد . وهى غير ملائمة للاحتلال الاسرائيلى بسبب الوضع الخاص للمنطقة .

٤ ـ تزعم حكومة اسرائيل ان اتفاقية جنيف لم تطبق حتى الان رسميا فى اى مكان فى العالم .

س : هل يعترف القانون الدولى بهذه الحجج ؟

ج : ان هذه الحجج واهية ومرفوضة ولو انها قدمت امام محكمة دولية لسقطت جميعها لتناقضها الصريح مع القانون التعاقدى منه والعرفى . فمثلا الحجة الاولى حول الاعتبار التاريخى مرفوضة قانونيا لان القانون الدولى المعاصر يرفض ارجاع عجلة التاريخ الى وراء استنادا الى مشاعر دينية وروحية ، ولا يمنح حقا وراثيا على مدينة القدس لقوم سكنوا المدينة فى احدى الحقب التاريخية وقام نسله بالمطالبة بمثل هذا الحق . واما « التفسير الاسرائيلى » للمادة الثانية من اتفاقية جنيف فهو كذلك مرفوض لان المادة تنص على ان الاتفاقية تطبق على مناطق ذات سيادة وتلزم الاطراف المتعاقدة ، وبما ان الاردن ومصر واسرائيل تعتبر من الاطراف المتعاقدة (لوجود اتفاقات هدنة بينها ولانتسابها الى الامم المتحدة) وبما ان المواجهة العسكرية عام ١٩٦٧ كانت بين جيوش هذه الاطراف الثلاثة لذلك فان الاتفاقية تلزمها جميعا ، هذا بالاضافة الى ان اتفاقية جنيف ما هى الا صياغة تعاقدية للعرف الدولى يلزم جميع الدول فى جميع حالات الحرب .

ان حكومة اسرائيل تتجاهل تماما ان اتفاقيات جنيف وضعت فى الاساس لدوافع انسانية كى تحمى المدنيين من حالات الحرب والاحتلال، اكثر منها لحماية مصالح الدول المتنازعة . وقد رفضت منظمة الصليب الاحمر فى مؤتمرها الثالث والعشرين الذى عقد فى بوخارست عام ١٩٧٧ ، رفضت الحجة الاسرائيلية القائلة بان الاتفاقية لا تنطبق على الاحتلال الاسرائيلى .

٣ ـ وحجة « الوضع الخاص » فى المنطقة هى ليست حجة ضعيفة وحسب وانما هى خطيرة جدا من وجهة نظر القانون الدولى ، اذ لو كانت صحيحة ، لكان بامكان كل دولة تشعر بتناقض مصالحها مع القانون الدولى ان تلغى جميع الانظمة والقوانين الدولية ، اما الواقع فاتفاقية جنيف تلغى كل اتفاقيه تتناقض وبنودها خصوصا فى حالات الحرب .

يجب التاكيد هنا ، على ان قضية ضم مناطق محتلة هو امر غير متعلق برغبة اى دولة ، والقانون الدولى والاتفاقيات الدولية تمنع ذلك منعا قاطعا : واذا كان الحق لدولة اسرائيل فى ان تضم مدينة القدس العربية حسب رغبتها او حسب قرار برلمانها فيمكن مثلا ان تقوم مصر بضم مدينة تل ابيب بقرار من مجلس الامة او حكومتها حسب رغبتها . وقد جاء القانون الدولى ليمنع هذه الحالات ولينظم العلاقات بين الدول فى حالات السلم والحرب .

ان اي ادعاء لحكومة اسرائيل لا يجيز ضم القدس العربية ، او اى منطقة عربية محتلة اخرى ، للسيادة الاسرائيلية ، لان الضم يخلق حق الملكية ، وهو يعنى عملا يقوم به طرف واحد وليس حسب اتفاقية سلام . وبما ان القانون الدولى فى جوهره هو معاد للاستعمار والكولونيالية ويتجاوب مع رغبة الشعوب فى التحرر ويحمى الدول النامية والمستقلة حديثا من تسلط الدول الاستعمارية ، وكذلك يعترف بالممثلين الشرعيين للشعوب على مستوى الحكومات وحركات التحرير والمنظمات الثورية ،فلا يجيز اى عملية تمس بحق هذه الشعوب والدول او تتنافى مع مصالحها القومية المشروعة او تتجاهل ممثليه الشرعيين .

س : ما هو موقف القانون الدولى من الاقتراح بتدويل القدس ؟

ج ـ على الرغم من ان هذا الاقتراح ليس جديدا الا انه لا يصلح للتنفيذ ولا يحل النزاع الفلسطينى الاسرائيلى . فقد ورد الاقتراح فى قرار هيئة الامم المتحدة بتاريخ ٢٩ـ١١ـ١٩٤٧ (المعروف بقرار التقسيم) والذى وضع ثلاثة اسس رئيسية لتسوية الصراع على فلسطين بين اليهود والعرب :

١ ـ انهاء الانتداب البريطانى .

٢ ـ تقسيم البلاد الى دولة يهودية ودولة عربية فلسطينية على اعتبار ان ذلك يعرب عن حق كل من الشعبين فى تقرير مصيره .

٣ ـ تكون مدينة القدس دولية وكما قلت فان هذه الفكرة غير ملائمة وغير عملية لتغير الظروف الموضوعية التى طرات على جوهر القضية .. وتقسيم القدس بين اليهود والعرب.

ان المطلب الرئيسى للمجتمع الدولى اليوم هو انسحاب اسرائيل من جميع المناطق التى احتلتها عام ١٩٦٧ ، بما فيها مدينة القدس وهذا ما اقره مجلس الامن فى قراره الاخير رقم ٤٧١ ، وقد ورد فى جميع القرارات عن حق الشعب العربى الفلسطينى فى تقرير مصيره .

هذا الاعتراف الدولى بالحق الفلسطينى والمطالبة بالانسحاب الكامل ورفض ضم القدس العربية ، والاعتراف بمنظمة التحرير كممثل شرعى للشعب الفلسطينى ، كل هذه المعطيات تساهم مساهمة اساسية فى التاكيد على الجانب القانونى لوضع مدينة القدس كجزء لا يتجزأ من الضفة الغربية المحتلة . وكل ما يسرى ويطبق على الضفة يسرى كذلك على القدس العربية .

قصة من اليمن

ولم تهزم الشمس

بقلم : هدى عبد الله احمد

غمرت مياه البحر الدافئة قدميه ثم انحسرت عنهما فسرت رعشة في جسده بفعل النسيم البارد .. رفع راسه .. كانت السحب الرمادية تتكاثف حول الشمس محاولة حجبها .. تتداخل الافكار في راسه تداخل الامواج المتدافعة امام عينيه .. ثمة شيء يمنعني من الاقتناع بوجهة نظرهم .. شيء ما صوته اقوى من كل اصواتهم الغاضبة الملحة ...

اشاحت بوجهها غاضبة ...

ـ انت لا تريد ان تفهم ....

ـ بل انني افهم جيدا ...

ـ فانت اذن لا تريد ان تتحرك .. تعجبك حياتك هذه ؟

ـ حياتي ليست بالسوء الذي تصوره كلماتك ...

ـ ولكن بوضعك هذا كيف ـ .. قاطعها رافعا يده في وجهها ..

ـ لا ترددي على مسامعي احلامك تلك .. ارجوك ..

ـ وما عيب احلامي ؟

ـ اكبر مما يجب .. اعلى من ان تصل اليها احلامي المتواضعة.

ـ ولكن بامكانك تحقيقها لو فعلت كما فعل غيرك ..

ـ ولكنني لست غيري .. والذين فعلوها ليسوا مثلي .. اتفهمين ..

حدق في الامواج ... تنسينا العاطفة احيانا اشياء كثيرة ... هه ... يبدو انني كنت مخطئا حين فكرت ان احلامها يمكن ان تطابق احلامي الصغيرة .. حين كنا صغارا كنا نعجب كثيرا بتلك السيارة الفارهة التي كانت تحضرها الى المدرسة ... كانت امها تـوزع ثيابها وثياب اخوتها « القديمة » علينا اذ لم يكونوا يعيدون ارتداء نفس ملابس العام الماضي ... هه.. ثم اني انا ببساطة لاسالها لماذا لا تحلم مثل احلامي المتواضعة ....

تطاير رذاذ الامواج فتناثر بعضه على وجهه ... مسح وجهه بيديه ماء البحر مالح كالعرق ... غمره شعور دافيء لا يدري كنهه ...

كانا قد بدا العمل منذ الصباح واخيرا توقفا عن العمل .. وقفا يمسحان العرق الغزير الذي غطى وجهيهما .... مد يده يجرب الالة ... دارت ... هدر صوتها .. اخذ يعلو ويعلو .. التفت كل منهما الى الاخر .. تعانقا فرحين .. ضحكا بصوت عال ودارا حول نفسيهما بجذل كالاطفال ... ابتسم .. كم هي لذيذة لحظات الانتصار ...

كانت الامواج تتسابق امامه وتعلو ثم لا تلبث ان تتناثر زبدا ابيض على الصخر .. ينحسر مكونا دوائر ـ بيضاء اشبه ما تكون بالدخان .. نهض وبدا يسير على الشاطيء ...

خرجت الكلمات من فم الحاج احمد مختلطة بدخان مداعته العتيقة ...

ـ يا ولدي انتهز الفرصة .. لماذا اصرارك على البقاء ... كل شيء هنا تغير .. لم تعد الحال كما كانت ... آه لو كنت شابا..

ـ عدنا الى هذا الحديث يا حاج ! ...

ـ يا ابني انظر الى امثالك من الشباب .. اصبحوا يملكون الكثير الا انت ... هه ... مناضل ! ...

ـ صمتا يا حاج محمود ولا تقل انهم امثالي ... لا .. انهم امثالك انت وان كانوا شبابا .. انت الذي ـ برغم كل هذه السنين ـ لم تستطع ان تنسى انك كنت ممن تفتح في وجوههم الابواب الموصدة .. انت الذي لم يعرف معنى ان يحرم طفلك دخول المدرسة لمجرد انه لا يملك شهادة ميلاد ... لم تعرف معنى ان يحرم عليك دخول اماكن هي في بلدك وملكك انت .. لم يهجم احد على بيتك وينتزعك من بين اطفالك بسبب او بدون سبب ... انت لا تعرف كل هذا .. لكن ابي عرفه جيدا وعرفته انا ... ابي عرف جيدا معنى ان يكون الشيء امامك ولا تستطيع ان تمد يدك اليه ... اما انت فيدك اطول مما يجب .. تطول الى حقك وحق غيرك ...

ركل حجرا برز امامه بعنف ..

ـ هو وهي وغيرهم .. يريدون ان اذهب .. ليس مهما ما الذي سافعله هناك ... المهم انني هناك .... ولا باس من ان الغي من قاموس حياتي كلمات شهيرة.. المبادىء .. الكرامة .. الانسانية .. لا يهم .. وماذا يعني اذا احنيت راسك وكتمت صوتك في اعماقك لانك اذا رفعته

ـ البقية على ص ٤٥ ـ

فوزي عبد الله

طريق الآتى

باسم القوة ام باسم الاطفال يغني ، يتغنى حكام بلاد السجن ،
بلاد العسل ، بلاد الاحلام ؟!
لا ابحث يا شعبي عن اي جواب لسؤال لا يشغلني ابدا .
من دهر كان تجاوزت سؤالا يوقع بعض الامم الحيرى فى ظن ويقين ..
وبلغت الغابة ، حددت لنفسي موقع اقدامي ، وبصرت الغيب ـ
واوراق الغيب تقول : غداً تشرق شمس ـ لم تشرق من سنوات ـ
وغدا تتحقق كل الاحلام .

باسم القوة ام باسم الاطفال !.. لا ابحث عن اي جواب ،
لكني ابحث فى ليل داج عن عينين تشعان كنجمين ، ليضيء الأمل
المكبوت بقلبى ، وأسامر شمسا اتية بعد الليل الداجى ،
ويصير المنفى عمرا كان ويفنى .

ابحث فى رحلات الليل وفى تجوالي فى المدن الكبرى ، حيث الأضواء
بلون الطيف الشمسى تدير الراس وتطفيء نور العينين ولا
تبقى من عفوية قلب دام الا ذكرى كانت ، حين الكون
قصائد حب وبراءة ..
كانت ... يا نور العينين على الماضى
يا دمعاً كان على ايام زمان ...

ابحث فى كتب الاسفار واقرا فى كتب الامم وانتظر الآتي بعد
الجهد المثمر ـ او علي اتفاءل شيئا فاسميه الجهد المثمر ..
واذا ... تولد عينان تشعان كنجمين ...
تولد فى قلب المأساة بعمر المأساة ..
كنا فرداً .. صرنا اثنين
هل تصبح ماساتي ملهاة !

وبكى وجعا قلب اضنته الانثقال
وبكى هلعا قلب حسب الدنيا حبا وجمال .
واذا الدنيا غير الدنيا : زيف وخداع
يا خجل العالم فى ظل الاطفال .

***

عمّا ابحث يا شعبي ، يا كل شعوب الأرض ؟
قضيت العمر اسوح الدنيا بالطول وبالعرض ..
ترميني شطآن وتنوء صحارى وحدائق قاحلة
وانا حيث انا ابحث عن نبت غض
اعطيه شعلة ضوء اخضر
للآتي فى ليل المأساة فتخضر الدنيا فرحاً

بولادة آتٍ ويكون النصر الاكبر ..

***

انت الواعد تأتينا
تولد في ليل الغربة ، في ليل القهر وفي ظلمة دهر موبوءٍ
بالظلم السافر
تولد اكبر من عمرك ، لا تعرف من عمر الاطفال سوى
اسم الاطفال ،

لا تؤمن بالعهد الكافر
لكنا نؤمن بالواعد يأتينا
فيكون النور ، يكون الحب ، يكون العدل قصائد تأتينا .

***

ماذا اعددتم يا اقزام غدٍ آتٍ ؟
دائرةً تكبر حينا وتضيق دهورا من حجم المأساة واصباغ قلوبٍ
لا تعرف من ظلمتها غير الحقد المأفون يجلل دنياها .
ـ هل تعرف كيف يكون سحاب الصيف القاتم ؟
ـ هل تعرف كيف يكون مصير اخٍ يحفر قبراً لأخيه ؟
كن ما شئت وكونوا لعنة ارض لا تنكر حقا ، وتديم الحب
لشعب يعطيها حبا ودما ، يعطيها نور العينين ...
ماذا اعددتم للأطفال ؟..
هل في قلب الظالم دائرةٌ للطفل وموضع حبٍّ لعيون تشرق في عزّ الليل ؟...

***

ويكون سؤالٌ اكبر :
ماذا اعددنا يا شعبي لغدٍ آتٍ
للطفل يموسق عمرا ؟
ـ اقسمنا بالأرض تكون الأرضُ زهوراً وربيعا
آمنّا بالحبّ يسود الناس جميعا
اعطينا الاتي حبا يخضر فيورق فرحا اكبر
ويكون النصر الاكبر ..
ماذا اعددنا ؟
نؤمن لكنا نعمل ، نشقى ليل نهار
ونعد طريق الآتي ليل نهار
ونهيىء في حب لا اعظم
عيداً يفرح فيه كل الأطفال
فليعلم من لا يعلم
انا نعمل كي تبقى البسمة زينة كل الأطفال .

الناصرة ـ تموز ١٩٨٠

أقصوصة من الضفة الغربية المحتلة

الجوع

بقلم : ((محمد جمال)) غنيم ـ نابلس

تمرد يا هذا الزمبلك المضغوط تمرد .. تدور الفكرة في راس زياد ، دون ان يستطيع تأجيلها .. يحاول التخلص منها في الوقت الحالي ، ولكنها تفرض نفسها ، وتهدر داخله الفكرة .. يحاول ان يفسر كيف اتوجدت ليجد انها نبتت داخله منذ وعي حياته ... وان الزمبلك بداخله ينضغط منذ الصبى ، وبتوالي السنين كان الانضغاط يزداد ، وفكرة التمرد تنمو وتنمو ..

لقد تعود ان يستعرض لحظات حياته لحظة لحظة .. متشابهة لحظات حياته .. حزينة كئيبة لحظات حياته .. خرج للحياة يتيما بدون اب .. اخبروه ان والده قتل على يدي الغول وهو يدافع عن بيارتهم ..

ـ وهل كان لنا بيارة يا أمي ؟ !

ـ اجل يا بني .

ـ واين هي الآن ؟ !

ـ لقد تركناها رغما عنا .

ـ ولماذا لم تعودوا ؟ !

ـ سنعود يا ولدي .. نم الآن وكف عن هذه الاسئلة .

ـ ولكن ؟ !

ـ ولكن ماذا ؟ ! قلت لك نم الآن حتى لا تتأخر عن المدرسة غدا .

كان يسأل ويسأل ، وكلما كبر كبرت اسئلته وكثرت ، .. لا يزال يذكر ما حدث قبل اثنى عشر عاما .. يوم ضربته امه لانه يصر على اللعب خارج البيت ..

ـ قلت لك لا تخرج من البيت .

ـ ولكنني اريد ان العب كبقية الاطفال .

ـ ان الغول سيأكلك اذا وجدك خارج البيت .

ـ وهل جاء الغول حتى الى هنا يا أمي ؟!

ـ وسيذهب الى ابعد من هذا ! !

ـ ولكن ؟ !

ـ يا ولدي اريدك ان تكبر .. اتفهمني .. وقتها ساخبرك بكل شيء .

ـ ولكنني اريد ان افهم ما هو هذا الغول ؟ !

ـ يا ولدي الغول شيء مخيف يأكل الاطفال والشباب والارض .

لم يفهم زياد يومها شيئا ولكنه الآن اصبح يفهم كل شيء .. بدا يربط النتائج بالاسباب والاسباب بالمسببات .. ، لقد بلع الغول البيارات ويلاحق الآن اصحابها حتى في المخيمات .. وقطعا لن يشبع ، فالغول لا يشبع .. هكذا اخبرته امه ..

ـ أماه ، لم يكتف الغول بالبيارات ؟ ..

ـ ان الغيلان لا تشبع يا ولدي .

ـ ولكن لماذا لا نقتله وتتخلص من ملاحقته وجشعه ونسترد بياراتنا ؟ ..

ـ صه .. لا تتحدث هكذا يا ولدي .

ـ وهل ننتظره حتى يبتلع كل شيء ؟ !

ـ ارجوك يا ولدي فالجدران لها آذان .

وكان زياد يؤجل تمرد الزمبلك كلما اوشك على التمرد .. ولكن الفكرة اصبحت لا تفارقه ...

* * *

انه الآن في البيارة .. بيارة والده .. يبني ، يزرع ، ويحصد ، ويصنع .. يسير بين الاشجار .. كان يسمعها تبدأ الهمس كلما سار بينها .. حتى الرمال التي شربت دماء والده تتهامس .. كل شيء حوله يهمس .. ويتجمع الهمس ليصبح صراخا .. مدويا .. ويملأ الصراخ أذنيه .. جبان .. متخاذل .. تحمر عيناه .. وتسخن اذناه .. يبكي .. يركع تحت الاشجار يحاورها ..

ـ لست جبانا .. ، لست متخاذلا .

ـ إذن فلماذا تصنع الطعام للغول ؟ ؟

ـ لأنني اريد ان اعيش .

ـ وما فائدة حياتك المظللة بالذل ! !

ـ وماذا بيدي أن افعل ؟ !

ــ عليك ان تخلصنا وتخلص نفسك من مخالب الغول .

* * *

كان الالم يزداد بتوالي اللحظات وتوالي السنين . ولكنه اعاد على ذلك صابرا .. والغول لا يشبع .. لقد اصبحت اجرته لا تغطي حاجياته الاساسية . والزمبلك يلح عليه .. يود التمرد .. كان يعود كل يوم فى سيارة العمال مطرقا يتلفت حوله ليرى الوجوه الشائخة فى عز الشباب .. ان الغول يمتص الشباب .. يعيش على عرق جباههم ..

وتطول اظافر الغول ، والاجرة لا تكفي للاستمرار .. لقد رفض ابو زاهر صاحب البقالة فى المخيم ان يدينه بالامس .. انه يكره الاستدانة لان نفسه عزيزة عليه ، ولكن طبيب المخيم اخذ كل مرتبه ثمنا لزيارة واحدة ... ،

* * *

كان بالامس غارقا فى التفكير كعادته بعد نهاية يوم مضن من العمل ... والسيارة تنهب الطريق الواصل بين البيارة والمخيم .. اذ بخبر يلطم اسماعه ، ويقطع افكاره ...

« لقد ارتفعت اسعار بعض الحاجيات الاساسية بنسبة خمس واربعين فى المائة » ... ضرب كفا بكف ، وسحب نفسا على سيجارته . وتمتم بحنق .. لا بد للزمبلك ان يتمرد .. اجل لا بد للزمبلك ان ينفلت ..

كان الظلام شديدا .. لا يستطيع تحديد مكان الغول بالضبط .. ان الاظافر كثيرة .. منتشرة فى كل مكان .. ولكن لا بد من تقليمها .. جمع اهل المخيم .. كلهم جوعى .. والجوع كافر .. الجوع لا يعرف الصبر .. لا يعرف التخفيض ولا النسب .. والبطون لا يمكن اختصار حجمها حسب النسبة المطلوبة .. ويصرخ زياد فى اهل المخيم .. هيا .. ويتبعه الجميع ... هيا .. هيا .. هيا .. ويصحو زياد من نومه .

ــ اسم الله عليك يا زياد .. ما بك يا ولدي ؟ .

ــ ابدا .

ــ ماذا جرى ؟ !

ــ لا طريق إلا ان يتمرد الزمبلك .

* * *

توضيح : الغول شخصية خيالية اسطورية ، لا وجود لها فى قاموس الحقائق والواقع .

من روائع الشعر العربى القديم
لعبد الله بن الدمينة الخثعمي

الا يا صبا نجدٍ متى هجت من نجد
لقد زادني مسراك وجداً على وجد (١)
االنْ هتفت ورقاءُ فى رونق الضحا
على فننٍ غضِّ النباتِ من الرند (٢)
بكيتَ كما يبكي الوليدُ ولم تكنْ
جليداً ، وابديت الذي لم تكن تبدي

وقد زعموا أن المحبَّ اذا دنا
يمل ، وان النايَ يشفي من الوجد (٣)
بكلٍّ تداوينا فلم يشفَ ما بنا
على ذاك قرب الدار خيرٌ من البعدِ
على أن قرب الدار ليس بنافعٍ
اذا كان من تهواه ليس بذي عهد !

١ ــ الصبا : ريح القبول . هاجت : ثارت . الوجد : شدة الشوق .

٢ ــ الورقاء : جنس من الحمام . الرونق : الضياء . الرند نوع من الطيب . الفنن : الغصن . الجليد القوي .

٣ ــ الدنو : القرب . النأي : البعد .

(عن « الحماسة » لأبي تمام . ج ٢ . ص ٩٦)

الهوية

بقلم : محمد نفــاع

نصيب كبد وقلب وكلية وبنكرياس وخصيــــه الحقيقة ونحن نقول ان مسعود العبد والشيخ ضامن واحمد الحمد واقرانهم ومن على شاكلتهم من شيوخ وختيارية البلـد لا يتعاطون السياسة حتمـا كما لا يتعاطون التدخين ، باعهم في السياسة قصير ، اقصر من مسابحهم ام المئة حبة وحبة من خرز اليسر القديم الاسود وشاهد ومئذنة وشرابة خيوط من كل الالوان الشعبية . تعرف ذلك من الضيــق الذي يحط على وجوههم وانت تقرب صوب السياسة . انت تتكلم كلاما منمقا قدر الامكان ، تستشهد بالاخبار والتعليقـات ووكالات الانباء والجرائد وبشكل تمثيلي جذاب ، يرتفع صوتك ويعتدل ويخفت وتستعمل عينيك وحاجبيك وبوزك واصابعك ومع كل ذلك ما احمى ما عندك ما ابرد مـا عندهم ، يفكرون بامورهم الخـاصة . ينفحونك تكشيرة محبطة توقفك عند حدك ، تدب البرودة في دمك ويصبح الحديث معهم مثل « (......) على البلاط » المتفتح المتنور فيهم من يلفظ اسم « التعايش السلمي » كما يجب وهذا بحد ذاته مكسب فظيع ، لكن لا تتصور احدهم ينطـق اسم « فلري جيســكار ديستان » ولو بتصرف . وعنـد الضـرورة القصوى يلفظون « الهستدروت » بقـالب غلط ، على الدورة ويخلقون للكلمة تضاريس ومورفولوجيا اخرى ، وهم اعـداء لدودون « للكيـرن كييمت » والضرائب مثل الشحمة على النار وكل يوم تكبر قائمة الاسمـــــاء المكروهــة في الدولــة . وينطبـق كل ما تقـدم على « الصفدي » الى حد مـا . والصفدي ليس شيخا في الزي ولا عجوزا في السـن ، فوق الاربعين على كل حال ، يدب فيه الهرم كما تــدب الرخـاوة في حبة المشمش المضروبة ولذلك يبدو في الخمسين واكثر بقراط ، والله اعلم والكبر كمال . وله شنب مترامي الاطراف كقارة اسيا ، في وضع « إستعد ! » على شفته المدمولة تحت الاتقاض ، وبسهولة تستطيع التقرير ان شاربه خرج عن حدوده الاقليمية بصورة هجومية اعتباطية خارجة على العرف العام مما حدا باجزاء وجهه وبراي عـام موحد استنكار هذا الزحف لشاربه الذي احتل هضبة وجهه الواسعة المكومة كهضـبة الاناضول . ونهاية شنبه تتطلع الى العلا بكرامة واعتزاز كذيل الالف المقصورة . لا بل ان بتتي شـاربه اشبـه بديكي دجـاج بلدي يتناقدان ، اقول بلدي لان الدجاج المتحضر المقفص نواعم لا يتقاتل بسبب برودة جنسه اللطيف وعدم تعاطيه الحب والغرام علنا على المزابل . الدجـاج العصري ابيض كالرخام والدجاجة الافرنجية « شكره » والديك الافرنجي « خنثى » اين هو من الديك البلدي الملون ذي العرف الطويل المائل بكبرياء والريش المتموج على عنقه يفتش عن الشر والقتال ، يرى الدجـاجة فيرخي جانحه ويحجل على رجلـه ايذانــــا بدق طبل الرجوج ووقوع الواقعة ، يثب وثبة بطولية لهـا مـا بعدهـا . يصطـدم بديك آخر فحل مهواش هو الاخر فيخنشران وتقوم معركة حامية الوطيس ، ينتف فيها الريش ويسيل الدم ويسمع شهيق ونخوات ونظرات عدوانيـة ؟!

كرباج الحاجة ساق الصفدي للعمل في البحـر الميت والملح سنة كاملة من الحول للحول وجد خلالهـا الوقت المناسب لديه ليصاب بحادث عمل ابرز ما فيه تلك الصدمة الموجعة على « قوقحه » والتي سببت له رضوضا وضعفـا في مواقـع ونشاطـات اخـرى لا يحب الصفدي ، وبحق ، التطرق اليها ، بعضها ظاهر وبعضها مستتر تقديره انه فقد رجولته . ثم تبـدأ الجمل والكلمات المألوفة المحفوظة في مثل هذه الحالات والتي هي من معالم الثقافة العامة والمجاملات :

ـ قسمة ونصيب !! المكتوب ما منه مهروب .

ـ حكمته !! في عبيده .

وأي حكمة ان يفقد الصفدي رجولته !!

ـ الله شهيد ان كنا نحب ان نؤذى صوص جاج !!

يقول وهو يسكب القهوة المرة للزوار .

لطيف انه يتكلم عن نفسه وفي وضعه الشـاذ هذا بلغة الجمع وهو اقل من واحد صحيح .

زار العديد من المستشفيات ، ذاق الادويــة المختلفة في اللون والطعـم والرائحـة والمقدار وشكل القنينة ، تعجب وامتعض لهذا الفحش والتطرف في

الفحص الذي اجري له خاصة في مطاليل ومخابيء جسمه . والناس آلوا على انفسهم معرفة ما حدث ونوع المرض وهو يدور حول الجواب الصحيح كالطزيز المربوط بخيط .

والصفدي يحفظ العديد من اسماء الاطباء والمرضين والممرضات ، بعضها مكون من مقطع واحد محشور يكاد يتمزع وبعضها شديد « مطجن » في مطلعه رخو سائل في نهايته كالمرق ، ومع ذلك يكر الاسماء كإسم الايام واسم شهور العرب . ويحفظ عددا غير متجانس من الاوراق الثبوتية مجمعة في دبوس ومحفوظة في ملف بلون الجزر ولا يمضي يوم الا وينبش الاوراق يكشف عن عوراتها وخباياها يدقق فيها النظر لا يعرف اللغة المكتوبة فيها لكنه يحفظ ما تحويه تماما بقدرة عجيبة .

بعد كل هذه العملية المكعوكة كالمصارين في العمل واصابة العمل والمستشفيات والرسائل والردود ولفت الانتباه والنماذج المعبأة وسؤال الخاطر والاشعة



والواسطة والمقابلات تقرر ان يعمل في الدفاع المدني في القرية .

لم يراف هذا الدفاع المدني بالناس وعقولهم وقدرتهم على الحفظ والترديد ، جاء هكذا دفعة واحدة واستوطن في البلاد فلم يعر الناس هذا الاسم اي اهتما ، الحيلة على المعاش ، اشتغل بمصرية وحاسب البطال . والحال فقد تنوعت الاسماء والالقاب والرتب وذاب لقب « النفر » كفص الملح . اما رواية الدفاع المدني فكانت جديدة طخ في البلد « خلنج » كأحذية الاطفال يوم العيد . وظل الصفدي اياما يخمن ويتمرن على هضم الاسم والمركز وصلاحياته وحيثياته واصيب تفكيره بعسر في الهضم ؛ لكن ذلك مكتوب في الورقة الفوقانية في الملف . ثم جاءه الجواب كبيرا منوعا واضحا على شكل تعليمات صارمة ومحاضرة . الدفاع المدني ضد المخربين فمن يوجد غيرهم اعداء قتلة يعيشون فقط لسفك دماء الابرياء والاطفال ، تذكرهم الاذاعة اكثر مما تذكر اسم الدولة ، قاسموها على كل شيء مناصفة لا

تخلو جملة من اسمهم .

لم يتقيأ الصفدي على كل حال بعد المحاضرة ضد الفلسطينيين .

ــ انت متأكد دفاع في قلب بلدنا ! !

ــ راجع راجع يمكن غلطان .

ــ يمكن صحيح ، الدولة تحسب حسابهم ، عوّفونا السلطة ، هذا الحرس المدني هو الاخر ! !

لكن الحكومة تعمل للامر اهمية اكبر . لم يصدق الصفدي ما يرى ، اما اخطر جوانب القضية ان يصبح عنده بحكم مسؤوليته عشرين بارودة .

ــ لهذا الحد ؟ !

وفكر الناس من جديد بالدفاع المدني والصفدي .

وكان اكثر من عاف دينه من هذه الغرابة هو الصفدي نفسه الذي هلك من اجل الحصول على جفت خلع « كروب زوهر » ، طلبات ومراجعات وصور ، يأتي الواحد للمصور وهو على اهبة الاستعداد كامل الهندام كيوم عرسه ، يجلس على الكرسي بقلب واجف ويأتي المصور وهو على القالب رجل اصلع رخو مصاب بضيق التنفس يغير من وضع الرجل على كرسي التصوير عدة مرات ويتنفس في وجهه كمن يلهث والواحد يعجب لماذا عليه ان يتصور بشكل معوج جانبي والمصور يشقل له حنكه ، ويتزود الناس بصور متعوب عليها عيونهم مبحلقة شواربهم معقوفة وحطاتهم مردودة بهداة بال الى الوراء حواجبهم مشهلة وقد غابت عن وجوههم البسمة لان الرجل يجب ان يظل عابسا في مثل هذه المواقف . واول ما يأخذ الواحد صورته يروح شافطها بنظرة جانبية متحفزة ويهتز كيانه وهو يرى ذاته على اوراق صغيرة مخلق منطق واذا لا سمح الله خرجت الصورة بشعة كأن يكون مغمض العينين تماما او عليها بقع مزغللة او تطمس الحدود بين الوجه وغطاء الراس او يكون البوز مكورا ناتئا والراس فيه اعوجاج كالفحل المتهيء للنطاح فقل ان مصيبة قد حلت ، كارثة طبيعية ، زلزال نفسي مدمر لا يرحم ينتهي بتمزيق الصورة وشتم المصور علنا وشتم النفس سرا . اما اذا كانت مرضيا عنها فيبرزها صاحبها بانتفاخ ولامبالاة هي المبالاة بعينها تراها زوجته فتبتسم بارتياح ، يتحدث هو نفسه عن الموضوع يراها الاصحاب فيطلبون صورة للذكرى فيقدمها بتحفظ رزين وله تلثين الخاطر .

المهم ان كل ذلك يذهب هباء ولا يحصل على رخصة جفت « كروب زوهر » ولا حتى على جواب قمحة او شعيرة .

واليوم دفعة واحدة عشرين بارودة . غطاء في التوقع نتيجة هذه الكومة من البواريد ! !

ــ صار نصف الناس في البلاد يحرس على النصف الاخر !! ــ علق احدهم .

وماذا يعمل الصفدي بعد هذا الترتيب ؟! يحمل البارودة في المغرب ويتجول في الطرقات . هنا حلقة ساهرة من الشبان ، عائلات تعود من زيارة ، فلاح يركب حمارا تمشي في الحقل .. امراة تطلق العنان لصوتها ، طفل يبكي ، سيارات ، عمال واشياء من هذا القبيل ، نادي للشيوعيين ، شباب واجتماعات ، وهو الصفدي لا يعترض احدا .. هل يوقف الناس الاغراب الضيوف ويتدخل في شؤونهم ؟ وهل يرضى احد بهذا التدخل وهل يصون حرمة والديه من كلمة واقفة يطلقها احدهم في اثره ؟

يجب القيام بتمرين ! ! قررت الحكومة ! ! يجب اشراك الناس ودعوتهم . والتمرين في المدرسة والمدرسة بعيدة . كيف يدعو الناس ؟ هل هو عرس ! ! تمرين للدفاع المدني بكامل اللباس والسلاح ضد المخربين .

وجاء عدد من الموظفين لهذه الغاية وتجمع بعض الناس والاولاد . ودار الحديث بين الناس عن شؤونهم الخاصة من باع ومن اشترى . واستغلوا الفرصة للتفرج على المدرسة ، واستعادة الذكريات عن المعلم والمدير والدروس .

رطت شفة المسؤول رطات خفيفة وتجعلكت جبهته فالجو غريب هنا بلا هيبة ولا انضباط عسكري .

كان من المفروض ان يتوجد داخل المدرسة عدد من الاولاد وثلاثة من المسلحين يقومون بدور المخربين والاولاد رهائن وهؤلاء استغلوا الفرصة القيام بكل انواع الشيطنة ، وراح «المخربون» وهم من اهل البلد يخربشون على اللوح والاولاد «الرهائن» يصححون لهم ما يكتبون بتفاهم ووداد .. وراق هذا الجو الصفدي جداً .

نظر الناس الى المدرسة ، بناية قديمة ، شبابيك عتيقة مخلعة ، واحدى النوافذ اخذت على عاتقها ان تتجاوب مع كل هبة ريح تلطم الحائط لطمات صاخبة .

لاول مرة يمسك الصفدي مكبر صوت صغير وهذا الشيء اضفى على الاجتماع مسحة من الجدية .

وشرح المسؤول الغريب بلغة عربية مقرطلة كسيحة بعض التعليمات للصفدي ليخاطب المخربين والسلاح مشرع : ايها المخربون اطلقوا سراح الاطفال الرهائن ! !

كانت علامة البدء ... عيارا ناريا وهو اول عيار ناري يطلق في ساحة المدرسة ! !

وبدأ كل شيء ... لكن النوافذ مخلعة تطرق ، ومن داخل البناء ضحكات مرحة ونقاش ، والمدرسة العتيقة تواجه ارض البلد المصادرة ، واطلال قرية

(البقية على صفحة ٢٧)

٣ قصائد

سميح القاسم

قطفتني الوردة ، شربتني كأسي

ابليتُ قميص الصـوف
لم ابصر وجـه الله ولم ابصر وجهي
اتراني مهزوز الايمـان ؟
كيف ابرّر موت غبار الطلع على بابِ البستان !
كيف ابرر موتي التـافه
مخبولاً في ليـلِ سريري
تتكدّس حولي اصناف الادويـة الشتى
وتغيب عن العـالم شمسي
ويزيّف في كل جهـات الارض ضميري ..
اعددتُ العُـدّه
لـكن
يـا حسرة عمري
قطفتني
قطفتني الوردة !

. . . .

ولدى المفترقِ تلفتُّ يميناً وشمالاً
لم ابصر احـدا
لكن الهولة كانت تتبعني
وانـا لا ابصرهـا .
لا بـأس .
دسستُ يديَّ بجيبيّ بنطالي ومضيت
اخترتُ الدربَ الاطولَ عن عمـدٍ
تدرين حبيبة روحي
انّي لا اخفي شيئاً عنـك .
استشعرتُ الخوف قليلاً .
قلتُ لنفسي : تتسلّى في هذا القفر الشاسع .
رحتُ اصفّر لحناً تلقائيا
لم ينقذني من خوفي
والهولـةُ خلفي .
بعد رحيلي القاتل من حزنٍ ناصع
في حزنٍ نـاصع
بعد الشغب وبعد اللغب وبعد التعب
قذفتُ إلى الهولة راسي
لا اخفي عنك حبيبة عمري
لم ابلغ اسوار القدس

شربتني كاسي
يـا حسرة عمري
شربتني كاسي !



تقاسيم على العود

في مساحات رنينك الكافيــة
ينسجم الياسمين والقندول
ويفقد الحنين اعصابــه

*

بين يــديك
لا تمتلىء كأس العرق ولا تفرغ
امــا الاطفــال
فيواصلون صياحهم على عشب الحديقة

*

عند مقام « الرصد » تبدأ اكوان اخرى
متفاوتة لكن متكاملــة

*

أخفقُ واخفق مع نقرات الجواب
واحتفظ بأسرار سلطنتك
يا امير الاحزان والاهداب الذابلة

*

في حضرتك
لا تفطن الارملة الى دموعهــا

لولا استحالة التفــاهم
بين دندناتك والنصف الجوي

*

يتباهى الخشب بغنتك السحرية
ويصيح الذهب : ما اتعسني !

*

يعلو نبضك العميق
على صفير القطارات
وجلبة مطارات الغربــة

*

فيشرب السمّار
نخب العودة بإذن الله

*

ايهــا الشيخ الجليل
لا تعبأ بالموضه
واقبل نصيحتي الاخوية :
لا تخلع طربوشك
لا تخذل « النوى » ..

الجندى المجهول

لم بعد من ساحة الحرب * سألنا كلّ من عــاد من الجند * سألنا صحبه الجرحى * سألنا فرقة الاسرى * سألنــا الجنرالْ
لم يجبنا أحدٌ منهم * سألنا ضابط الصف * سألنــا كل من يمكن ان يعرف انباء القتال
ظلّ ان نسأل عنـهُ ،
جثثَ القتلى وعسفَ الموت مجاناً وكثبان الرمالْ ..

الهويـــــة ـ بقيـــــة

مهدمة تطل من البعد ولا تغيب ، وبيتا مهدما في البلد بحجارته الجديدة وحديده الملوي بعنف ، ولغة المسؤول غريبة غير مفهومة .

وقبل ان يامر المسؤول بالبدء صــــاح الصفدي هاتفا بلغة سليمة واضحة واثقة :

ـ ايها الفدائيون ، ايها المناضلون ، .....

ـ المخربون !! يا حمار !! ـ قال المسؤول الغريب .

ـ الفدائيون !! ـ شدد الصفــدي ، مخاطبــا المسؤولين .

ـ ابوه اوعى تتنازل وله .... صفدي !! ـ قال واحد من البلد .

ـ القتلة ! ! ـ قــال الموظفون .

ـ ايها المناضلون الشرفاء ، ايها الاطفال الاحياء تفضلوا ! ! ـ اطلقها الصفدي وردها عدد كبير خارج وداخل البناء بينهم مسعود العبــد والشيخ ضامن واحمد الحمد ......

محمد نفاع

وردة لعيني حفيظة

بقلم : محمد علي طــه

الى الصديق الكاتب الذي ابى ان يترجل عن الجرمق ، محمد نفاع .

- ١ -

حدثني جارنا سميح عن والده محمود عن مختار قريتنا انه قال : سبحان الله الذي لم يخلق لحفيظة اخ . فاعترضه الحاضرون قــائلين : اخ ام اخت يــا مختار فقال مبتسـما : اخ يا ناس . لو كان لها اخ يجري في عروقه دم الرجال لقتل احدنا فاعدمته الحكومة او سكت ففقع فمات !! .

وحفيظة اشهر امراة في بلدنا ، يعرفها الرجال والنساء ، الكبار والصغار . ليس لان بلدنا صغيرة ومن شدة صغرهاتعرف طبخة كل بيت بها بل لانحفيظة امراة سلبت عقول الشيوخ قبل قلوب الشباب واثارت غيرة النساء حتى دعون عليها بالعمى وقصر العمر . وهيهات ان يسمع الله دعاء الحسود .

ومنذ صرخ سعيد الزرعي بيت العتابا المشهور قامت بلدنا ولم تقعد . النساء المتزوجات خشين على ازواجهن فكم واحدة حلمت حلما مفزعـا خلاصته ان حفيظة ضرتها . والامهات خفن على اولادهن الذين نبت الشعر على صدورهم واخضرت شواربهم فالحب بـلاء والعشق مرض . وسل مجربا ولا تسل طبيبا .

يقولون ان الطقس كان حارا . والشمس تحرق ذنب العصفور ، والشعير العفير كان قد اصفر . والقرية مرتاحة تستعد لايام الحليشة والحصاد .

ويقولون ان امها سرحت لها شعرها بشكل مثير وربطت لها منديلا برتقاليا ورشت لها على مفرقها نقاط من عروسة السودان ثم قالت لها : شعرك يــا عيني نشف ربقي قومي املأي الجرة من العين ! الله يستر عليك !!. فلما وصلت الى العين كان الرجال مقيلين تحت التوتة فلم تنتبه اليها احد . الا ان الدنيا قضـاء وقدر والحياة اقدام وعتبات ونواصي واكعـاب . فسعيد الزرعي ابن العمشا كان يجري وراء جدي املح افتل ليفطمه . والجدي شيطان . قفز من صخرة الى صخرة . والولد وراءه . وفيما هو يركض ويقفز تعثرت قدمه فكاد يروح على طوله لولا ان حمته يداه ؛ وعندئذ سمع صوتا ناعما يقول : يا حامي . فرفع راسه واذا سبحان الخـالق الناطق . حفيظـة تحمـل الجرة الغزاوية . نظر اليها مشدوها فسارت البنت متهادية الى مزراب العين فصاح من قحف راسه ..

اوف ..
على بير الوفـا وردت حفيظة
جدايل سود وارختهم حفيظة
مسعد يللي توخذه حفيظة
غني . لو كنت تسجد ع البواب

فافاق الرجال من القيلولة ، ووصل بيت العتابا الى كل بيت . فغناه الرعـاة على سفوح الجبـال ، والحاصدون في الحقول ، والشيوخ وهم يلعبون المنقلة والفنجان ويزوجون «الدبكة» في لعبة « الاسكمبيل » ، والصغار وهم يتسابقون على خيول القصب . ويا ما فصل الرجـال قنابيز روزا ، ويا ما اشتروا طواقي عسفاوية مطرزة ، ولفوا الحطـات كرادي ، ونيلوا سراويل النيشان ، وفرطوا انصاف الليرات لتخشخش النقود في الجيوب ... كرمال عيني وجدلتي حفيظة .

واما على الطرف الاخر من الجبهة فيقولون ـ والحديث ليس مسندا ؛ ان السكر قد انقطع من دكان حسن الدرويش ـ الدكان الوحيد في بلدنا . فالنساء قد اشترينه وحولنه الى عقيدة فصارت الكراعين تلمع والحواجب خطوط اقلام . وقد تعجب الغزاوي عندما زار القرية ولم تبق معه ذرة كحل . ويؤكدون صحـة هذه الروايـة فيزعمون ان مصطفى الغـول الذي كان يتضايق من رائحة عرق زوجته حشمة التي علاقتها مع الماء والصابون غير ودية مما دعاه ان يهينها اكثر من مرة ويقول : لو وضعها اثناء الليل في الماكورة لصاد ثلاث ضباع على رائحتها . مصطفى الغول هذا فاجا حشمة في احدى العشيات وهي مغسلة معطرة مكحلة محتوفة متنوقة .

الله يقصف عمرك يا سعيد الزرعي !
ماذا فعلت يا بن العمشا ؟!!

- ٢ -

كنت صغيرا العب بنوى المشمش وابني دوائر

ومثلثات ومربعات واشكالا هندسية اخرى عندما كانت امي تسهر مع جارتنا حفيظة على « قصة » بيتنا في ليلة صيف مقمرة . ولما احتجت بعض النوى مررت من بينهما لاحضره من البيت فتعثرت بساقيها الممدودتين فسقطت فتلقتني بذراعيها واخذت تقبلني بنهم من خدي وجبيني وشعري الطويل وتزغزغ صدري وانا اصرخ متضايقا فصاحت امي ! حفيظة ! نار هبت بين رجليك !!. فتركتني فزعة . وفرحت لاني تخلصت منها وساعود الى لعبي . لكني شاهدت حفيظة واقفة ساهمة ولا اثر للنار او الحريق ثم سمعت امي تقول لها باعتزاز : لا تزعلي . خفت على الصبي من عيونك . يقولون ان العيون الخضر تفلق صخر الصوان .

اغرورقت عيناها بالدمع كالعشب المغرورق بالندى في نيسان . وعادت القصة دون ان تقول : تصبحون على خير . لكن امي قالت على مسمعها : الله يطعمك يا حفيظة نتفة صبي !!

وانقطعت جارتنا عن زيارتنا اياما وربما اسابيع . ولا ادري حتى اليوم علام صالحتها امي ولا كيف صالحتها . والاغرب من ذلك انني شعرت بنسمة فرح تهب على وجهي وتنساب في عروقي عندما شاهدتها قد عادت لتسهر مع امي على قصة بيتنا في ليالي الصيف !!

- ٣ -

سبعة ايام بلياليها . رقصت القرية وغنت . طبلت وزمرت . تبارز الرجال الاشداء برفع العمدة . ووسوس الذهب في السواعد الشمس والبيض وعلى الصدور الثيبات والبكارى . امتلات البطون والافواه والايدي بالكبة والرز واللحم المسلوق والمحمر . واطلق المختار كل ليلة سبع طلقات من فوهة بندقيته الانكليزية التي اشتراها ايام الثورة ليسلم بريشه .. فالقرية ما عرفت عرسا ولا فرحا منذ قتل الانكليز الشيخ عارف . ومنذ ان ساقوا الرجال وعذبوهم بالصبر ونهبوا القمح والزيت والسمسم وهدموا بيت القصيل احمد .

العرس جاء على شهوة . والعريس حسن العابد وحيد امه . والعروس حفيظة وردة جميلة نبتت في القرية على حين غرة بعد ايام جفاف وقحط بعد نكسة الثورة ، فتاة يصح عليها قول الايام ، حورية من الحور الغيد . جسم عملاق متناسق وجديلتان سوداوان تمسان الكفل . ووجه اسمر جميل . وعينان خضراوان .

قالت رقية وهي تهز عجيزتها التي اسالت لعاب ابناء جيلها : ارقصن يا لعينات . لقد جاءت هذه المرة سليمة . ولم تعلق اية واحدة منا بضرة ! ! فضربت صبحة على الدربكة . واحنا بنات الاصايل من الله علينا الهيبة . وعانقت الاغاني السماء فوصل الصوت الى ساحة الرجال فتلمظت شفاه وتحركت اجسام وتطاولت اعناق . يللا يا سعيد الزرعي انقر على الشبابة . واتسعت حلقة الدبكة الشمالية . وغنى احمد المجيد اغانيه الاباحية . ما ترك عضوا في جسم المراة الا تغزل به . هاج الرجال كالجمال بعد اكل الخرفيش والقوصان . وتركت النساء ساحتهن واقترين يسترقن السمع . وقهقهت رقية فسمع الرجال صوتها فتواقح احمد المغني وقال لزوج رقية : مهرتك تطلب الفحل . روح على بيتك ! وحينئذ غنى سعيد الزرعي بيت العتابا فتعالى الهتاف والصراخ . الا ان احدهم اضاف : حسن العابد غني ما هو شحاد . وزواجه غنى على غنى .

ونام الشباب ليلتهم وهم يتقلبون ويحسدون حسن العابد .

ونام المتزوجون مع نسائهم واطفاوا السرج وهم يتوهمون ان في فراش كل واحد منهم حفيظة ذات الجديلتين الطويلتين والعينين الخضراوين .

وعلى ذمة رقية انها لم تشعر في ليلة دخلتها بمتعة كتلك الليلة .

جازاك الله يا سعيد الزرعي يا مقصوف الرقبة !!

- ٤ -

كلما بال الزمن ازدادت حفيظة حلاوة .. وكانها تختلف عن كل بنات جنسها . وكلما طلع جيل في بلدنا تعلق بها فكانها منارة جمال تشد اليها العيون والقلوب . ما تجعد لها وجه ولا شاب شعر ولا ترهلت إلية .

تقول رقية : لا يقتل الجسم عند جنس بنات حوا الا الحبل والولادة . ونحن جنس لا يشبع .

وحفيظة بعد مضي عام على زواجها طافت على اطباء المنطقة وشيوخها وشيخاتها . اخذت الحقن . شربت الدواء . حملت الحجاب تلو الحجاب . والحرز تلو الحرز . شربت الماء على الريق عن ورق الكتبة المندى . وحرمت على نفسها اكل الكرش والفشة ، ولحم الوقيعة .

وما حملت ولا ولدت .

عندما قالت لها امي على قصة بيتنا في ليلة الصيف المقمرة : الله يطعمك نتفة صبي . حزنت وبكت . واليوم تقول لها امي ذلك فتعلق حفيظة : ام صبري ما يهم . صبي . بنت . كله خلقة الله ! !

نذرت ان تذبح خروفا في مقام ابو الهيجاء ان حملت . وانتظرت سنة بطولها فما تحرك شيء في احشائها .

وبعدئذ نذرت ان تنحر ثورا في مقام الخضر . وانتظرت عاما فما غبتها العادة الشهرية .

وحينئذ وشوشت زوجها حسن العابد : افحص حالك ! فصفعها على وجهها وقال : انت بغلة لا تحملين

ولا تلدين .

فصرخت في وجهه : انا مهرة اصيلة . دوّر على حالك ! !

— ٥ —

كانت امي ترجّل لي شعري وتفرقه وتلبسني قميصا مطرزا اشبه بفساتين البنات ثم تصر على ان اضع الخرزة الزرقاء في عنقي وترقيني وتحوطني من العين . وفي ليلة الجمعة كانت تبخرني واخوتي بالمرمية . اللهم صلي عليك يا نبي . وكنت اتضايق من هذه العناية الزائدة فانا لا احب القميص المطرز لانه يمنعني من اللعب في التراب والقفز على المزبلة بحثا عن قطع الزجاج الملون والعلب الفارغة والكرارات ، وكنت انفش شعري بعد ان ابتعد عن امي خطوات مخافة ان يقول لي الصبيان : بنوتي . خرية توتي . ويمنعوني من اللعب معهم .

وكم مرة اغضبت امي حين رفضت القميص المطرز والشعر المشط فحاولت ضربي على يديّ فحمتني جارتنا حفيظة .

واذكر انني عدت مرة ملطخ الثياب منفوش الشعر ملوث القدمين والساقين والكفين نتيجة لعبي بالعواتيل في ارض المزبلة الطرية فحلفت امي بقبر سيدي ان تكسر يدي ورجلي فوقفت في آخر الزقاق انتظر من يخلصني من هذه العلقة . فجاءت جارتنا حفيظة وقادتني من يدي وادخلتني الى بيتها وغسلت لي يدي ورجلي ووجهي بالماء والصابون المطيب واطعمتني خبزة بيضاء وفخذ دجاجة محمرا . ولما افقت في الليل وجدت راسي على ساعدها ووجهي قرب صدرها شبه العاري ورائحة عطرها تعبق في انفي .

ارتبكت .

خفت من الظلام الدامس فوضعت ذراعي على عنقها واحتضنتها كما احتضن امي . ومنذ تلك الليلة توطدت علاقتي بجارتنا . ما عدت اعمل حسابا لضرب امي ووعيدها ، صرت العب اكثر ، واتشيطن اكثر . فكل ولد له بيت ولي بيتان . ولكل ولد ام ولي امان . ولكل ولد حضن يلتي راسه عليه ولي حضنان .

والحقيقة انني كنت ارتاح في بيت جارتنا فبيتها نظيف ومرتب اما دارنا فمليئة بالاولاد الذين يعادون النظام والترتيب والنظافة ، ودارها هادئة ودارنا مليئة بالضجيج . وحفيظة تستقبلني بالابتسامة المرحة وتعانقني وتحضنني ، اما امي فتسالني : اين كنت؟ وماذا فعلت ؟ ومن وسخ ثوبك ؟ وما هذا التراب على شعرك ؟

وزوجها حسن العابد هادىء وينام في فراشه وحيدا اما ابي فحين يدخل المنزل تعلن الاحكام العرفية ولا ينام في فراشه وحيدا .

وعندما تذبح امي دجاجة تحدث معركة وبالكاد ان انال جناحا اما عند جارتنا فانا المحظوظ آكل ما اشاء وتغريني على اكل المزيد .

واما عن الحلوى والفستق والبذور التي يعرفها بيتنا في المناسبات فهي متوفرة دائما في جارور خزانة جارتنا حفيظة .

وهكذا تركت دارنا منذ طفولتي وصرت انام في حضن جارتنا !

— ٦ —

قال لي احد اترابي الغلمان ونحن نسهر في الصيف على قش البيدر : هل تنام مع حفيظة في نفس الفرشة وتحت لحاف واحد ؟ !

اجبت ببراءة واعتزاز : نعم .

— وماذا تفعل في الليل يا ابن الـ ....

وقال آخر : آه لو كنت محلك ! !

فابديت غضبي وامتعاضي فقال : لا تزعل . زوجها خلتنا . خمس عشرة سنة ولم تحبل ولم تلد . انظروا يا اولاد الى قفا حسن العابد فهو كقفا المخصي .

وتعجبت . لماذا يقولون هذا الكلام البذيء عن جارتنا وزوجها عم حسن العابد . عدت الى البيت . في اول الزقاق جلست على حجر استعيد ما قاله الاولاد ، واربطه بما تفعله جارتنا حفيظة في الليل . كانت تقبلني بنهم . وتضمني الى صدرها حتى تكاد تدخلني الى احشائها . واحيانا كانت تخرج نهدها وتضع الحلمة في فمي وتقول : ارضع يا نونو . وتقرصني في فخذي . ولا تضربني على يدي عندما تسبح على جسدها وتعبث به وتقرصه .

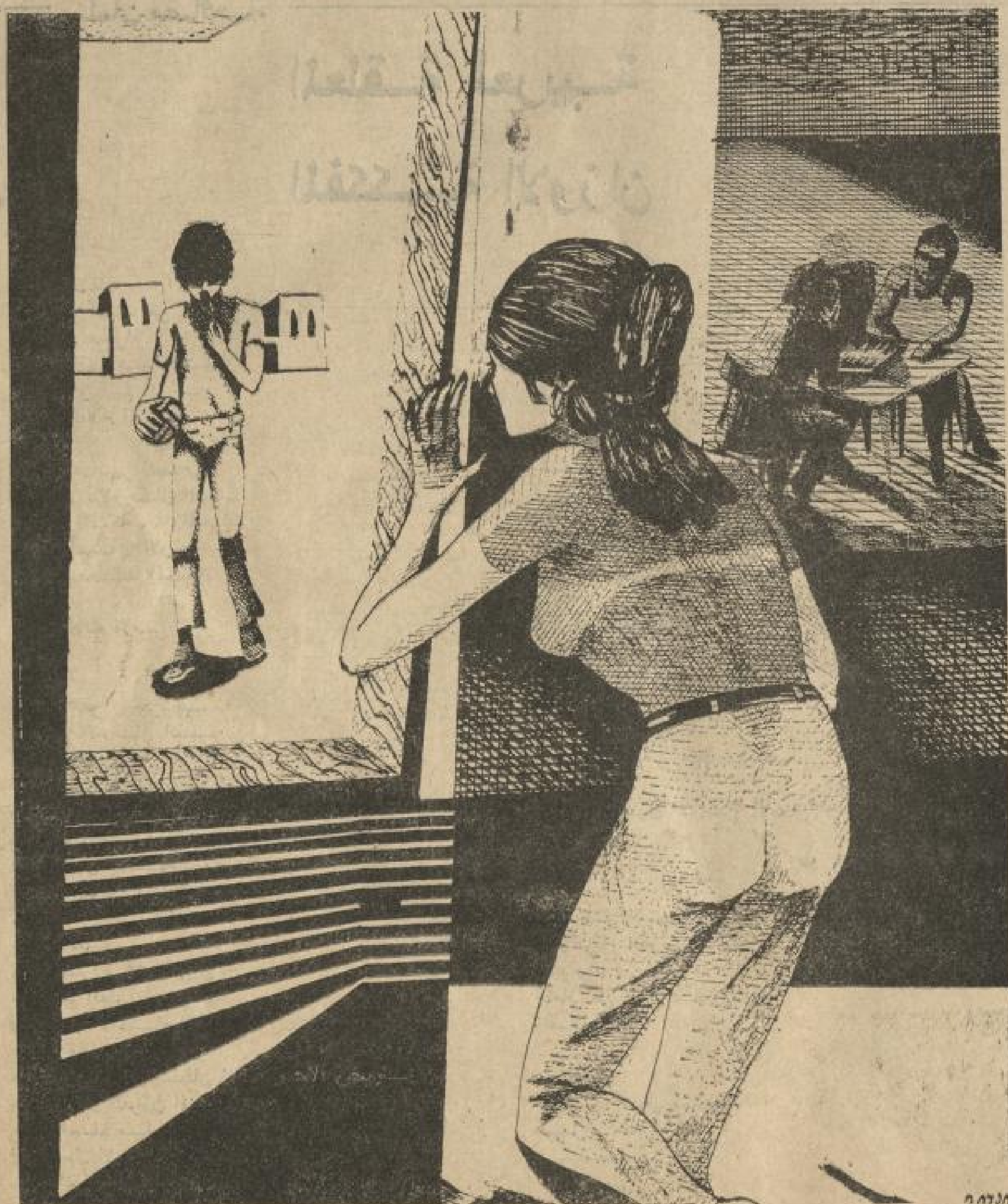
وفي الغد حدثت لي هذه الحادثة .

كانت سلوى بنت الجيران تنزل عن سطح دارهم .. وما زلت على الدرجة العليا السلم الخشبي . صعدت على السلم . صرخت سلوى : انزل يا صبري . افتح لي الطريق . لم اطعها . واصلت الصعود . وكنت اعلم ان جارتنا حفيظة تراقبنا . ولما التقيت وسلوى على نفس الدرجة من السلم طوقت عنقها بذراعي وقبلتها وانا اعلم انها لا تستطيع ان تهرب او ان تقاوم مخافة السقوط . ولما تركتها هبطت بقية الدرجات وهي تشتم امي وابي وتربيتي السافلة . واما جارتنا حفيظة فقد نادتني : تعال . وتناولت يدي . وفي الليل سمعتها تقول وهي تقبلني : صرت رجلا يا ملعون . انت دلك بنت الجيران . تو . هذا قنك . وتدخل ساقيّ بين فخذيها ويعلو نفسها كانها مريضة بالحمى .

— ٧ —

جارتنا حفيظة اشهر امراة في بلدنا . فدارها نظيفة ومرتبة . وهي اجمل امراة في بلدنا فوجهها اسمر وعيناها خضراوان . وهي اشرف امراة في بلدنا فقد تمنت ان يكون لها نتفة صبي او نتفة بنت لكن زوجها

(البقيـة على صفحة ٣٤)



اناتولى رسام شاب عاش فى الاتحاد السوفييتى . حدثناه عن حفيظة . وهكذا تصورها .

سلمان مصالحة

المعلقة العربية المفككة الاوزان

– ١ –

قفا نحك
إن النهر الممتد من التاريخ العربي
يحمل في مجراه
كل شوائب هذا الشعب
يبصقها في اليم الرحب
فيعود الفلاح المسكين
يشرب
من امواه النهر الصافي
غير مبال بالاوحال الذائبة
فينادي السكة .. والمحراث
يسبر اعماق الارض
يفتح صفحات المحضر
ويغني
تاريخ الأمس

– ٢ –

لم يكن القرآن خروجاً
من وعر الاوثان القبلية
لم يكن القرآن
ابا سادة هذا الشعب
منديلا
لمخاط الاوساخ الغاصت
في اعماق الحكام
لم يكن القرآن كلام
. . .
كان القرآن
ولا زالت آيات القرآن
يشهرها الفقراء سيوفاً
في وجه الاصنام البشرية
هل تعلم
هل تعلم يا سلطان الشعب الانوك (١)
معنى سور القرآن المنسية
هل تعلم ما يكمن
في اسمال الابناء العبروا
سبل القفر العربية
محرومين يتامى
. . .
لم يكن الكذاب سوى العهر الكفر
النابض في افئدة البيت الواهي
تحت سياط الهامات القامت
من زائدة الفقر

– ٣ –

ولدت
كبرت في الوطن البعيد
كان صوت الارض
حشرجة
تعيق الدمع في حلقي
كبرت
على التلال الخضر
في شفق الربيع
وفي انهمار البرق والرعد
كبرت هنا
على انتظار الوعد
من يافا ومن حطين
ولم يأت
ولم يأت رسول الشمس بالامل
ولم أمل

– ٤ –

اعبر جسر الليل
النازف في جفوني
وعيوني
حاملاً كل ما خف وزنه
وثقل ثمنه
. . .
ما قيمة
ما قيمة سهل ممتد
جبل مشتد

---

١ – الاحمق .

واد
شجره
الجبلُ الشجر
الحجر المنقوش هو العامل
وانـا
وانا لا اكفر ابـدا
إلاّ بالاصنـام
الشجر الجبلُ السهل الوادي
كل تسابيح بلادي
يـا وطني
يـا وطناً مهزوماً
في ايدي القوات المنتصرة
نحن الكفرة
نحن الكفرة

– ٥ –

مـا زال الشباك المفتوح
على مصراعيه ينـادي الريح
الليـل
يحاول ان يطرق بـابي
صوت المذيـاع
نعيـق
آتٍ عبر الليل الى طاولتي المرتجة
نعست اضواء الغرفـة
الورق المصقول تثاءب
نشرات الاخبـار كثيرة
كـانت
احوال الطقس الموجز
والنشرة . . .
والوطنُ
صار القـائد
(على حد تعبير وسائل الاعلام الوطنية)
وتر آخـر
وطن . . صوت آخر
قيثـارة
ان الحزن على الاوطـان مهـارة
وانـا لا افقه شيئاً

– ٦ –

اتركوني
اتركوني يـا رفـاق
اذرف الدمع على مقتل نصري
شاءت الدمعـة
ان تقفز من جوف الابـاء
فاتركوهـا
واتركوني

انـا لا اقدر ان اطوي جبيني
هذه الدمعة
كبريت ونـار
تحرق الردة . . والوعد الحرام
الحلتته اذرع الغش
واعطتـه الزمـام
يتمادى بالظفر
فوق ركب الصبح والشعب المسافر
انـا
لا اقـدر ان اطوي جبيني
آه
لكن العرب
اشبعتنا قصة الاحزان
في ثوب الطرب
آه . . . لكنّ العرب
لا يـأس
اذا مـا امطرت عينـايَ
ريحا . . وعواصف
آه . . مـا اصعب
ان تصبح اسما في جريدة
او حديثاً
عند تحرير الرسائل
. . .
يـا فلسطيني اسمعيني
اسمك النازف يرويه التراب
والمدارس
كيف كيف اسمك عنوان المجالس
آه . . صالون حلاقـة
وحدائق
آه
دكـان بقـالة
يـا فلسطيني اسمعيني
وآعيني

– ٧ –

لأني احمل الشمس
واخلع حلكة الليل الذي
يقتات من تعبي
لأني
انفض التزوير عن تاريخي الاخضر
وعن تاريخي الابيض
وعن تـاريخي الاحمر
وعن تاريخي العربي

– ٨ –

انـا صرتُ

انـا الجبـل
انـا الوطن الذي نامت انامله
على الطرقـات
انـا الوادي
انـا هفوات اجـدادي
انـا جدّي
انـا ولـدي
انـا
من بـاع اجـداده
انـا
من دكّ اولاده
انـا النصر الذي يأتي بنشوة ليل
انـا الليل الذي لا يعرف الصبـح

انـا الجبـل
انـا الوادي
انـا الـدمع الذي مـا زال ينهمل
انـا اليـأس
نـا في زهـوة النصـر
نحرت النصـر
انـا المقتـول
انـا المهزوم
إن
النصر
في ذاتي

القـدس

وردة لعينـيْ حفيظـــة ـ بقيـــة

حسن العابد الذي له قفا الخنثا وهـــدوء المخصي لم يسعدها .

اشتهاها رجال القرية من المختار الى الامام الى الناطور . اشتهوها يوم غنى لها سعيد الزرعي . ويوم زفافها لحسن العابد . وزادت شهوتهم لها بعـد ان علموا ان زوجها عاقر ولن يولدها صبيانا او بناتـا . حسبوها صيدا سهلا .

سليم النمر صاحب اكبر ديوان في القرية رجل قوي وجميل وغني . علم يوما ان حفيظة تعمل لوحدها في الكرم الغربي . حلق ذقنه وتعطر ولبس احلى ملابسه وسار شمالا حتى يضيع الشك . ثم عرّج غربا حتى فاجاها وهي تقلع العشب في الكرم .

قال : العوافي يا حفيظة .

ـ الله يعافيك يا بو النمر .

ـ حفيظة انا تعبان ومحتاج للفي . عطشان ومحتاج لشربة مي . والفي تحت نهودك . والزلال في شفاهك .

ـ مش كل الطيور بتاكل لحمها بو النمر . استحي على القهوة السادة في ديوانك . يا عيب. انصرف افضل ما اجمع كل البلد على رزالتك ! !

وانصرف خائبا .

واحد من كثيرين .

كلهم عادوا بخفي حنين .

وبعد ان كبرت ـ فقط ـ عرفت لماذا كان سليم النمر يناديني اثناء وحدته ويحاول ان يسقيني فنجان قهوة مرة .. ويشمني .. ويقول لي : سلِم يا ولد ! !

ـ ٨ ـ

امس انتقلت جارتنا حفيظة الى رحمته تعالى .

كانت لها جنازة عادية. سار بها عشرات الرجال يتقدمهم الامام يتلو الايات المعهودة التي تذكر بالموت وتقصم الظهر وتجعل الرجل المؤمن يرتعد هولا .

لم تنطلق زغروده عندما خرج نعشها من الدار لتعبر عن العز . فلا ابناء ولا بنـات ولا احفـاد ولا حفيدات ! ! !

ما قدم احد التعازي لحسن العابد . نظروا اليه بشزر .

ـ لو كانت عاقرا لتزوج حسن من اخرى .

ـ هذا هو الاصول .

ـ بقيت دون ذريه لان زوجها عاقر .

ـ ولم تذكر ذلك امام الناس .

ـ لو ذكرته لاهانت زوجهـا .

ـ وكان دعوة صريحة للرجال .

وقالت رفية : ليس لك الا الصبر يا بنت حواء .

وقال سليم النمر : رحمك الله . لقد كنت اطهر من حمام مكة .

وتغامز البعض .

وحين عدت الى البيت بكيت وبكيت .

منذ سنوات صرت شابا . وعدت الى بيت امي . وتزوجت سلوى . ثم سكنت في المدينـة حيث بدأت اعمل في احد مطاعمها .

ايه يا جارتنا حفيظة . لقد كتمت السر سنوات عديدة . اللهم عفوك .. اللهم عفوك .

ويا جارتنا حفيظة :

إقبلي هذه القصة نبتة خضراء فوق عينيـك الخضراوين ..

وردة حمـراء في مفرق شـعرك الاسود ذي الجديلتين الطويلتين .

حزيران ١٩٨٠

مراجعات

الحركات الاجتماعية في الاسلام
للدكتور امين توما

اغتنت المكتبة العربية بكتاب جديد هو « الحركات الاجتماعية في الاسلام » للدكتور امين توما الذي يحلل تحليلا علميا ـ ماركسيا لينينيا نواحي معينة من التاريخ العربي الاسلامي . ومع ان الكتاب ليس بحثا واسعا في الحركات الاجتماعية والفكرية في الاسلام ، الا انه يعطي الاساس السليم لفهمها ، وبالتالي يساعد على فهم بعض الاحداث الهامة التي جرت مؤخرا ، كالثورة الايرانية بزعامة الخميني . ودلت محاولات الرجعية والامبريالية استغلال الدين الاسلامي لمحاربة كل ما هو تقدمي ، ومنع الشعوب في افغانستان وغيرها من التحرر من قيود الامبريالية والرجعية .

وقد احسن المؤلف صنعا حين خصص الفصل الاول من الكتاب لشرح كيفية فهم التاريخ على اساس علمي مادي . ويقتبس قول ماركس :

« ... فليس وعي الناس هو الذي يقرر كيانهم بل على العكس ، ان كيانهم الاجتماعي هو الذي يقرر وعيهم » .

ويضيف المؤلف : « وهكذا بينما نعرض الانظمة المختلفة والافكار القديمة في ظروفها التاريخية الملموسة فنحن لا يمكن ان نجردها في الوقت ذاته من اساسها الطبقي » . « ولذلك حين نعالج ثورة الزنج او ثورة القرامطة لا نكتفي بالحكم عليها حسب ظروف عصرها ومرحلة التطور الاجتماعي الذي نشأت فيه بل نحكم عليها من وجهة نظرنا الطبقية ، ونرى فيها كفاحا بطوليا قام به الكادحون لم يكن في وسعه ان ينتصر » (ص ١٤) .

وعلى ضوء ذلك يقول باننا نختار ابا العلاء المعري لانه حمل مشعل الفلسفة المادية وسخرها بالاوهام السخيفة التي انتشرت في عصره ، ولا نختار الغزالي الذي كان فيلسوفا رجعيا . ونرى في المتنبي شاعرا عربيا انشد شعرا عربيا اعرب فيه عن رغبة شعبه في التخلص من السيطرة الاجنبية .

وفي الفصل الاول يعالج المؤلف مكانة الدين في التطور الاجتماعي العام . وهو يحاول الاجابة على السؤال : ما هو دور الدين في التطور الاجتماعي في المرحلة المعاصرة ؟

والسؤال هو : هل قررت الاديان مسيرة التطور الانساني والتشكيلات الاقتصادية ـ الاجتماعية التي تعاقبت في المجتمعات الانسانية ؟ ويقول المؤلف :

« فلو اخذنا المجتمعات البدائية التي شهدت صعود الانسان من المرحلة «الوحشية» الى «المدنية» لاستطعنا ان نقرر ان الاديان تحت اقنعتها تطورات اقتصادية ـ اجتماعية جسدت حصيلة النمو وتبنته » (ص ٢٢) .

صحيح ان الاديان العالمية الثلاثة ، البوذية والمسيحية والاسلام ، رافقتها نقاط تاريخية كبيرة . فالمسيحية ظهرت بعد البوذية باكثر من ستمائة سنة في فلسطين ، احد اقاليم الامبراطورية الرومانية الواسعة . واجتذبت المسيحية العبيد والمضطهدين وانتشرت بين الفئات الشعبية المعدمة لا في اقليم فلسطين النائي عن مركز الامبراطورية فحسب بل وفي سائر الاقاليم وفي روما نفسها . ولكن سرعان ما تغيرت المسيحية واصبحت دين الامبراطورية الرومانية لانها خدمت مصالح الطبقات الغنية الحاكمة ، ولان المسيحية لم تدع الى النضال ضد الحكم بل دعت الى قبوله .

فظهر الاسلام بعد المسيحية ب ٦٠٠ عام في مرحلة انتقال مكة والحجاز من نظام المشاعية البدائية الى النظام الطبقي . وجذب الاسلام بدعوته الى العدالة الاجتماعية ، بمفهومها في ذلك العصر ، المحرومين والفئات الاجتماعية المسحوقة التي كانت تقاسي وتكفر بالنمو الاقتصادي الناجم عن التجارة الواسعة (رحلتي الصيف والشتاء) ، والطبقة الغنية لم تكتف بارباح التجارة بل عملت على السيطرة على الآبار والمراعي المشاعية .

وهنا ايضا تبنت الطبقات الغنية السائدة ، بعد مرحلة من اضطهاد المسلمين ، تبنت الدين الاسلامي ولوحت به لتوحيد القبائل واقاليم شبه الجزيرة العربية ، فبذلك مهدت السبيل لاقامة صرح الامبراطورية العربية الاسلامية .

صحيح ان الديانات الثلاثة انطلقت من قاعدة النقمة على السياسة الطبقية التي سحقت المعدمين والمحرومين ـ ولكنها اصبحت بعد ذلك « ملك » الطبقات العليا التي تمسكت بها وروضتها بحيث اصبحت ادواتها في بناء الانظمة الطبقية وصيانتها ازاء المتمردين على الانظمة .

ولكن هناك ظاهرة هامة بالنسبة للمسيحية والاسلام . فقد لجأت الحركات الاجتماعية الثورية الى الدين وعقائده وقيمه لتجد فيها ايديولوجيا ولتحارب الحكام واولي الامر تحت اعلامها . وهكذا نرى ان العديد من انتفاضات الفلاحين في الريف والتمردات الشعبية في المدن في اوروبا في القرون الوسطى تمسحت بالدين . وكذلك في عهد الامبراطورية العربية الاسلامية حارب قادة الحركات الاجتماعية الثورية بعقائد اسلامية ولكنها كما كتب ماركس كانت تدعو الى تغييرات في البناء الاقتصادي ـ السياسي .

لقد جمع الدين الاسلامي بين الدنيا والآخرة وتجسدت هذه الوحدة بالنظام السياسي وفي الخليفة الذي جمع بين السلطتين الروحية والمادية ، وقد حاولت المسيحية تحقيق ذلك في القرون الوسطى .

ثم ينتقل الدكتور اميل توما في الفصل الثاني الى الافكار الاجتماعية في الاسلام ، فيستعرض الوضع الاجتماعي ـ الاقتصادي عشية الاسلام في مكة فيشير الى تعمق التفاوت الطبقي ، ومع ان عدد العبيد في مكة قد ازداد الا ان مجتمع مكة لم يتحول الى مجتمع عبودية كالمجتمع اليوناني او الروماني القديم . وكان هناك الى جانب الطبقتين الجوهريتين ـ طبقة التجار والفقراء ـ طبقة او فئة الفلاحين التي كانت محدودة نسبيا . وفي هذه المرحلة اتصف الفكر الاجتماعي ـ السياسي بتمييز الطبقة الغنية وحمايتها .

وكانت تقوم في مكة عشية الاسلام حكومة من عشرة رجال يمثلون القبائل المختلفة في الظاهر ولكنهم في الواقع يمثلون القوة التجارية للمجتمع المكي . « وكان الصراع الجوهري بين الاغنياء والمعدمين ... وهذا ما انعكس في السور المكية » (ص ٤٣) . والمهم ان الفكر الاجتماعي كان فكرا طبقيا يعتبر الثروة والسعي لتكديسها هدفا اسمى .

من القبيلة الى الامــة

ودعا الفكر الاجتماعي الاسلامي الى التخلي عن العصبية الضيقة الى مفاهيم « الامة » ونقصد بذلك جمع القبائل في شعب واحد . واكد ان الايمان بالله يوحد الجميع . كما دعا الاسلام الى القضاء على الفروق القومية والعرقية وتوحيد الناس في بوتقــة اسلامية واحدة . ومن هنا اهمية الحديث النبوي المشهور « لا فضل لعربي على اعجمي ولا لقريشي على حبشي الا بالتقوى » .

وتاتي فلسفة الحكم في المكانة الثانية من الفكر الاسلامــي الاجتماعي . ودعا القرآن الى طاعة الله باعتبارها الامر الجوهري الدائم والى طاعة الرسول وبعده اولي الامر .

ومن الواضح ان جوهر الفكر الاجتماعي في القرآن يتجسم في معالجة البناء الاجتماعي الاقتصادي وحسمه في قضاياه . وهناك عدد من المعالم اولها التنديد باصحاب الثروة . ولكن الى جانب هذا هناك في القرآن اعتراف بالتفاوت الطبقي . وفيه نقد للمتظاهرين بالتقوى ودعوة ملحة الى التوقف عن استيفاء الربى والدعوة الى الخير وعمل الصالحات والعدل .

ولكن الفكر الاجتماعي الذي جاء في القرآن احتمل التاويل منذ اللحظة الاولى . ولهذا تطور الفكر الاجتماعي الاسلامي لا في مسرب واحد بل في مسارب عديدة وذلك بسبب النزاعات الاجتماعية التي نشبت .

مناشىء الفكر الشيعي في الاســلام

كان التطور الاقتصادي وتوازن القوى الطبقية الذي كــان يتغير باستمرار في اوضاع اتساع الفتوحات ، العامل المقرر بالنسبة لجهاز الدولــة العربية الاسلامية الشاسعة الاطراف وبالنسبة لصياغة الايديولوجيا الاجتماعية السياسية . واعتمد هذا الاخير على تفسير القرآن والحديث النبوي .

ويقول الدكتور اميل توما ان اختيار ابي بكر خليفة كان حلا وسطا لتسوية الصراعات التي نشبت ، وهو اختيار يرضي عنه « اليمين واليسار » . وتبرز وجهة نظر عمر بن الخطاب الطبقية في تاليف مجلس الشورى الذي اوصى قبل وفاته ان يختار الخليفة من بعده ، فقد كان مؤلفا باكثريته من الاثرياء واختار عثمان احــد اقطاب بني امية ومن كبار الاثرياء . وفي عهد عثمان تحول الحكم الى اداة في يد الطبقة الغنية .

وقد ثار على عثمان دعاة العدالة الاجتماعية من المسلمين امثال ابي ذر الغفاري ، ففجروا الثورة واطاحوا بعثمان ووضعوا حدا لخلافته بقتله في عقر داره .

واختير علي بن ابي طالب . وواضح ان اختياره كان انتصارا لدعاة العدالة الاجتماعية . وحاول علي تطبيق النصوص القرآنية بتفسيرها المتحيز الى الفقراء لا الى الاغنياء .

وقد فرض التطور الاجتماعي فشل علي وانتصار معاوية الاموي . وهكذا فبعد اغتيال علي بن ابي طالب اقام معاوية نظام خلافة وراثيا . ومن الناحية الاخرى نشأت حركة الشيعة ومحورها علي الذي تحول الى رمز التطلع نحو حياة افضل . وكان من الطبيعي ان ينتسب الى الشيعة ابناء الشعوب المكبوتة التي ارادت الكفاح من اجل حياة افضل . ونمت الشيعة حركة دينية سياسية ، وبدات مسيرتهــا الفكرية التنظيمية المتعددة الجوانب والفروع بعد مقتل علي .

ويستعرض الرفيق اميل توما الفرق بين السنة والشيعة ، واضاف ان الشيعة انقسمت الى شيع وفرق الا ان القضية الجوهرية او اساس نظرية الشيعة هي ان الامام علي هو الامام بعد محمد ، ويعقبه الائمة من ذريته بترتيب من الله . ثم تحــدث عن اقسام الشيعة ، الزيدية والامامية والاسماعية ، وقال بان :

« الوقائع تدل على ان الحركـــة الشيعية في جوهرها وتيارها العام كانت حركة ايجابية كمـــا ان فروعها افكار وحركات ثورية » (صفحة ٧٣) .

وخصص الرفيق اميل توما الفصل الرابع لـ « التيار الثوري في الاسماعيلية » . واشار الى انه قد جرى تمايز داخل تيار الشيعة الواسع بفعل التغيرات المستمرة في توازن القوى الطبقية في المجتمع العربي الاسلامي . وقد دفع عنف الاضطهاد للشيعة ليس فقط الى « المهدوية » ـ اي توقع ظهور المهدي ، بــل ايضا الى التقية او الباطنية اي اظهر ما في الباطن اتقاءا للخطر ـ اي اتباع نوع من اسلوب العمل السري .

في العام ١٤٨ هـ ـ (٧٦٥ م) توفي الامام جعفر الصــادق بالمدينة فخلفه ابنه موسى الملقب بـ « الكاظم » . ولكن حدث انقسام بين الشيعة فرفض بعضهم الاعتراف به وقالوا بامامة حبيب بن اسماعيل . وكان هذا بدء ظهور الطائفة الاسماعيلية التي اسست الدولة الفاطمية .

لقد كان الشيعة انصارا للعباسيين ، ولكن مــا ان وصــل العباسيون الى سدة الحكم حتى نكلوا بالشيعة بعنف اشد من الامويين .

ولخص بندلي الجوزي افكار التيار الاسماعيلي الثوري فكتب انهم دعوا الى مقاومة العصبية القومية ودافعوا عن فكرة الاخاء الحقيقي لا بين المسلمين فقط بل بين جميع الناس على اختلاف قومياتهم وطبقاتهم واديانهم ، التي تقوم على مطالب العقل السليم . وفي الميدان الاقتصادي دعوا الى ابطال ملكية الارض وتوزيعها على المحتاجين مجانا .

ويتحدث الرفيق اميل توما عن تيارات الاسماعيلية المختلفة ، كالدروز والقرامطة الذين امتد حكمهم في يوم من الايام فشمل مناطق واسعة من العراق وشبه الجزيرة العربية .

ويقول المؤلف : « والحركات الثورية في الاسلام **تبنت دائما ايديولوجية شيعية .... وقصتها من أروع صفحات النضال من اجل الحياة الافضل ومن اجل حقهم في الخلافة باعتبارهم من آل البيت ...»** (صفحة ٨٨) .

ويتحدث الدكتور اميل توما في الفصل الخامس عن « القدرية » او حرية الاختيار والجبرية التي رفضت ذلك . ثم انتقل ليتحدث عن المعتزلة التي نشأت في عهد الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك ـ (٧٢٤ ـ ٧٤٣ م) . وقد ظهرت المعتزلة في فترة تميزت باستتباب الخلافة الاموية من ناحية واستمرار التمردات الاجتماعية القومية من الناحية الثانية . وظهرت المعتزلة في البداية كتيار فكري يعارض غلاة الشيعة والخوارج . وقد صبحت المعتزلة ايديولوجية الخلافة في عهد المامون الخليفة العباسي ، وهي تجمع بين التفكير الديني والتحليل الفلسفي وتفسير الامور تفسيرا عقلانيا . وأيدت تمجيد العقل وتنصيبه سلطانا .

وخلص المؤلف الى القول : « الا ان الاعتزال عامة كان ايديولوجية الطبقة الحاكمة وتتألف من التجار واصحاب الاراضي الكبار والاغنياء ـ ما دامت في صعود .. ومن هنا اكتسب طابعه التقدمي .. والحقيقة ان انتصار الاعتزال في عهد المامون كان بداية تحوله عن طابعه التقدمي .. » (صفحة ٩٩ ـ ١٠٠) .

اما الاشعرية فقد خلفت المعتزلة ، واسسها ابو الحسن علي ابن اسماعيل الاشعري (٨٧٣ ـ ٩٣٦ م) فزود الحكام بايديولوجيا محافظة تقليدية توافقت مع بداية عهد تراجع الامبراطورية العربية الاسلامية . وكانت سيادة الاشعرية والمنطلقات السنية ضربة كبرى للفكر العربي الاسلامي النيّر المتحرر .

وكان الاشعري من انصار المعتزلة البارزين ، ولكنه ارتد ، بعد ثورة الزنج من ناحية ولعجزه عن مواجهة التحديات الفلسفية والفكرية . والاشعرية قررت ان الخلافة يجب ان تكون في قريش ، واكدت ان القرآن ازلي ، وناصرت الحكومة السنية ورأتها افضل من الثورات الشعبية لتغيير النظام والتي تعددت في هذه الفترة . واخطر مقولاتهم رفض التسليم بوجود اي قانون الطبيعة ، وبذلك روجوا للمعجزات الخارقة وارادوا بذلك نفي دور الانسان وفعاليته في التطورات التاريخية .

ثم ينتقل المؤلف الى الحديث عن الشعوبية ، التي تعرضت لكل انواع التشويه . ولعلها التيار الفكري الوحيد الذي لا تزال تستخدمه الرجعية العربية المعاصرة في التحريض على الشيوعية .

كانت الشعوبية نزعة او ميلا فكريا وتذهب الى ان العرب ليسوا افضل من غيرهم من الامم ، ولا امة افضل من امة . وظهرت في مراحلها الاولى على الاقل ، امتدادا لتيارات تقدمية دعت الى المساواة بين الاقوام الاسلامية ، وجاءت نتيجة لفشل السلطة في تحقيق تلك المساواة ، وكانت في معلمها الجوهري الطبقي كفاحا من اجل المساواة ووقف القمع والتمييز القومي .

واغلب الظن ان الشعوبية ظهرت بعد قيام الدولة العباسية وقبل ان تحيق الكارثة بالبرامكة . وقامت في عهدها الاول على عامة الشعب .

الا ان الشعوبية تحولت الى دعوة الى الاستعلاء القومي ودعاية تتجه نحو الحط من مكانة العرب باعتبارهم الحكام المتنفذين . ويعتقد انها في مرحلتها الثانية ، مرحلة القومية المتعصبة اصبحت تيارا فكريا يؤلف جزءا من ايديولوجية الحكام الذين كانوا اعاجم اكثر منهم عربا .

وعلى كل حال « ساعدت الشعوبية على تقليص التعصب القومي العربي والاستعلاء العنصري ... وخلقت مناخا لنمو حركات ثورية تقدمية وان لم تؤلف جزءا جوهريا من ايديولوجية القرامطة والزنج وغيرها » (صفحة ١٢٣) .

وخصص المؤلف الفصل الثامن لـ « العلاقة بين الدين والقومية » فقال ان الدين لعب دور العامل الفكري الحاسم في الربط اجتماعيا بين افراد القبيلة الواحدة او القبائل المتعددة وكان بمثابة البناء الاعلى يجسم ويعكس البناء الاقتصادي وعلاقات الناس خلال عملية انتاج مقومات الحياة » .

ومع ان الدين لعب دورا في ثورات الشعوب المستعبدة مثل تمرد يهود فلسطين في سنوات السبعين ميلادية ضد حكم روما ، الا ان الصراع الطبقي كان العامل الحاسم . وثورة العبيد الكبرى بقيادة سبارتاكوس بطابعها اللاديني واللاقومي تؤكد ان الصراع الطبقي هو المقرر .

وفي فترة صعود النظام البرجوازي تهاوت الاطر الطائفية وحواجزها على الصعيدين القطري والدولي امام نهوض المفاهيم القومية وحركاتها الشعبية .

والبرجوازية التي صعدت على موجة القومية وجابهت قوى الدين في معاركها ، تلجأ اليوم الى الدين لمحاربة كفاح البروليتاريا .

ثم يخصص المؤلف فصلا لبحث « العلاقة بين الدين والقومية في العالم العربي » فيقول انه منذ نشوء الامبراطورية العربية الاسلامية وحتى اضمحلالها انطلقت التيارات الفكرية والحركات الاجتماعية ثورية كانت ام رجعية ، من منطلقات اسلامية دينية .

وانطلق النضال ضد الامبراطورية العثمانية وداخلها في بعض المناطق كالبلقان من منطلقات دينية ، وفي الاقطار العربية من منطلقات اجتماعية .

ولكن كان هناك من رأى ضرورة اصلاح الدين كوسيلة لاصلاح المجتمع مثل محمد عبده زميل جمال الدين الافغاني . ولكن حتى في ظروف توطيد الدعوة الاسلامية كان من الطبيعي ان يطفو على السطح المعلم القومي . فعبد الرحمن الكواكبي دعا الى خلافة عربية لا تركية . وبعد ان هزته مذابح الستين الطائفية في لبنان بدا يؤكد

القاعدة القومية التي تربط العرب لا القاعدة الدينية .

وبنمو الحركة القومية العربية في الاقاليم العربية العثمانية في مطلع القرن العشرين ، تراجع التيار الاسلامي امام التيار القومي.

اما في شمال افريقيا في الاقطار التي وقعت تحت نير الاستعمار الفرنسي ، فكان الاسلام يقوم في قلوب الكثيرين من العرب مقام القومية ، ولذا راى الاستعمار الفرنسي في الدين الاسلامي عدوا لدودا .

ولكن باستمرار النهوض القومي وازدياد قوة الطبقة العاملة والفئات الشعبية في الحركة القومية كان يضعف الملمح الديني . وان بقاء الملمح الديني يعرب عن نفوذ الايديولوجية الاقطاعية .

وقد استخدمت الرجعية فكرة الجامعة الاسلامية لمقاومة الثورة الاشتراكية الكبرى . ولكن هذه الدعوة لم تصمد امام تيار الحركات القومية في مختلف الاقطار العربية ، لان الايديولوجية القومية العربية اقتربت من ايديولوجيات القوميات المعاصرة .

الاخوان المسلمون في مواجهة القومية العربية

وفي مصر ، في آذار ١٩٢٨ ، نشأت حلقة صغيرة عمادها الشيخ حسن البنا ، هي منظمة الاخوان المسلمين . وقد تقوت هذه المنظمة في سنوات الحرب العالمية الثانية لان القوى الحاكمة في مصر ارادت بواسطتهم وقف العملية الثورية في مصر بعد ان اشتد الصراع الطبقي والاجتماعي .

وفي سنوات الخمسين انحسرت فكرة الجامعة الاسلامية او الوطنية الاسلامية وانتصبت الحركة القومية العربية عملاقا نوريا ، وكانت علم الثورة الجزائرية وتاميم شركة قناة السويس .

وقامت الجامعة العربية تجسيما لفكرة القومية العربية . وكان طرح شعار الوحدة العربية مرحلة جديدة فصلت في العلاقة بين القومية والدين اكدت على القومية العربية دون تحفظ ومع ذلك بقي الدين عنصرا ذا اهمية .

واستعرض الرفيق اميل توما الطائفية في العهد العثماني فيقول ان القيادة التركية في الخلافة ، اشاعت تعصبا دينيا توافق مع البناء الاجتماعي الذي اتخذ شكل الاقطاع الشرقي .

ومنحت الامبراطورية العثمانية الطوائف نظام « الملة » ، حيث منحت بموجبه الطوائف المختلفة قدرا كبيرا من الادارة الذاتية شملت الامور الدينية والاحوال الشخصية . وقد شدد هذا من قبضة رجال الدين المحافظين والرجعية على طوائفهم .

واشاع الحكم المصري العربي في سوريا ، بعد حملة ابراهيم باشا (١٨٣١ - ١٨٤٠) ، المساواة بين الطوائف ، وانزل ضربات قوية بالاقطاعيين والمشايخ .

ويذكر المؤلف ان المبشرين اقاموا المدارس ودرسوا فيها اللغة العربية بعكس المدارس الاسلامية التي كانت تدرس فيها التركية . وادى هذا الى انتشار الثقافة العربية بين المسيحيين والى اشاعة فكرة القومية العربية بينهم .

وعملت الامبراطورية العثمانية على اشاعة الفتنة بين الطوائف وركزت جهودها في لبنان على اثارة الحزازات بين الدروز والموارنة . واشتعل اول اضراب طائفي في لبنان عام ١٨٤٠ في اعقاب انسحاب القوات المصرية من سوريا . وارادت السلطة العثمانية تصفية امارة بشير شهاب الذي دعم حملة ابراهيم باشا . وحدث احتراب طائفي ثان عام ١٨٤٥ . ولكن الاحتراب الطائفي الاقسى حدث عام ١٨٦٠ . ففي عام ١٨٥٩ اندلعت انتفاضة مسلحة بقيادة حداد قروي ، هو طانيوس شاهين ، ضد الاقطاعيين الموارنة ، فطردوا من كسروان . وخاف الاقطاعيون الدروز على مصالحهم فسلحوا فصائل المتطوعين الدروز وانفجرت المذابح الطائفية التي ذهب ضحيتها ما يزيد على ٢٠ الف مواطن ودمرت مئات القرى ، وتدخلت فرنسا لحماية المسيحيين .

اما الفصل الحادي عشر والاخير فخصص للحديث عن الطائفية كاداة الامبريالية والرجعية . ففي فلسطين عمل الانجليز ، الى جانب الاحتراب العنصري بين العرب واليهود ، على اثارة الطائفية التي ضعفت حيال شعور الجماهير العربية بالخطر الصهيوني - الامبريالي المتعاظم .

اما فرنسا فقد فصلت لبنان عن سوريا واقامت كيانا مستقلا فيه قائما على اساس طائفي . وفي سوريا اقامت دويلات عدة على اساس طائفي ، دولة حلب ، ودولة العلويين في لواء اللاذقية ، ودولة السنيين في دمشق ، ودولة « جبل الدروز » (العرب) . ولكن الثورة اندلعت عام ١٩٢٥ من جبل العرب وكان توجهها قوميا تجاوز الاقليمية والطائفية وطالبت بالاعتراف بسوريا دولة عربية مستقلة .

وفي مصر عمل البريطانيون على اقناع الاقباط ، اكبر تكتل مسيحي في مصر ، بانهم يؤلفون قومية مستقلة عن سائر المصريين .. ولكنهم فشلوا في ذلك ، واسهم الاقباط في الحركة القومية في مصر .

وفي اسرائيل التقت الاوساط الاسرائيلية الحاكمة اثر الامبرياليين فرفضت الاعتراف بالشعب العربي في اسرائيل كاقلية قومية ، بل اعتبرته مجموعة من الطوائف ، وعملت على فصل الدروز وعلى اعتبارهم قومية منفردة . ولكن جماهير ابناء الطائفة الدرزية رفضوا هذا ويساهمون في نضال الجماهير العربية العامة في اسرائيل ضد التمييز العنصري والاضطهاد القومي .

والخلاصة هي ان هذا الكتاب يستعرض ويحلل العديد من الحركات الاجتماعية الفكرية في الاسلام عبر العصور من منطلق طبقي وعلى اساس الفهم المادي للتاريخ ، وبذلك يمكن القارىء من فهم حقيقة هذه الحركات الاجتماعية الفكرية فهما صحيحا .

زاهي كركبي ــ حيفا

قصائد غنائية لفدوى طوقان



● « عندما كنت تغنين رأيت الشرفات
تهجر الجدران والساحة ترتد الى حضن الجبل
لم نكن نسمع موسيقى ولا نبصر لون الكلمات
كان في الغرفة مليون بطل »

(محمود درويش)

● انت ارتويت فماطينا سلافته
يا ربة الهبتين الحب والالم

(سلمى الخضراء الجيوسي)

❋ ❋ ❋

كتابة الدراسة عن شاعر مرموق تتطلب مراجعة ما كتب عنــــه حتى يكون الناقد على بينة ونور ، وكم بالحري عن شاعرة التضية واخت شاعرها ، لذا فليس بدعا ان نرى تباين وجهات النظر عن شعرها (١) ما دامت الكتابة وفيرة عنه .

امامي الان ديوانها السابع « قصائد سياسية » * ، ولو استعرضنا اسماء الدواوين السابقة لوجدنا العبارة الموحية الامر الذي لا نجده في اسم هذا الديوان فكان العنوان بيان سياسي ليس فيه البوح والايقاع والغناء .

ان شاعرتنا في الدواوين الاولى حلقت في اجواء الطبيعة وهامت في الحب ووصلت دائرة التجديف حتى حطت هنا على ارض الوطن فاذا بها تسرد لنا لوحات شعرية قصصية بدات جذورها بقصيدة « نـــــداء الارض » (٢) واخذت تتطور الى شبه حكاية :

« ناخذ اغنياتنا
من قلبك المعذب المسهور
وتحت غمرة القتام والديجور
نعجنها بالنور والبخور
والحب والنذور
ننفخ فيها قوة الانسان والصخور
ثم نردها لقلبك النقي
نردها لقلبك الماسي
يا شعبنا المكافح الصبور »

(مقدمة الديوان)

فهذه اللوحة قصصية غنائية خطابية ، واذا نظرنا الى طابع القصائد عامة فاننا نجد الشاعرة تتوقف قليلا عند صورة معينة تكررها او ترسمها ثانيــة ، لكنهـــا تسترسل وتتواصل ؛ ولوحتها لهـــا مقدمة وفيهـــا حوارات (مونولوجات وديالوجات) وهي لا تجمـــل

العاقدة بؤرة مركزة فهي مساحة منداحة تختمهـــا بتفاؤل وايمان .

ففي قصيدة « رسالـــة الى صديق غريب » (٢) (ص ٤٧) تبدا الشاعرة :

وصلتني منك اليوم رسالة
فيها نبض فيها شعر
ترجع لي ذكرى الزمن الضائع من ايام العمر
تنسيني هذا الزمن الشائه زمن القهر

. . . . . .
. . . . . .

ثم تحدثنا الشاعرة عن يوم السبت اذ يصبح لبلدها شميم لا يطاق وذلك اثر هجـــوم الخوذات العسكرية ، وتواصل سردها الشعري حتى تصل الى النهاية المتفائلة :

فيطل من الافق النائي

❋ فدوى طوقان : قصائد سياسية ، دار الاسوار ـ عكا ـ ١٩٨٠ . ويحوي الكتاب سبع قصائد كانت قد نشرت في ديوانها « الليل والفرسان » ، دار الاداب ، بيروت ـ ١٩٦٩ ، وخمس قصائد نشرت في ديوانها «على قمة الدنيا وحيدا» ، دار الاداب ، بيروت ـ ١٩٧٣ ، وقد اضيفت ثماني قصائد جديدة نشر اغلبها في الصحف المحلية .

نجم يغزل خيطان الضوء
يضحك عبر الفلوات

فاللوحة القصصية فى قصائدها (٤) واضحة المعالم والخطوط ولا تجريد فيها . ويكتب الدكتور محمد غنيمي هلال فى هذا الصدد (٥) : « ولا من عجب أن يحتوي الشعر على عنصر قصصي يتخذه الشاعر مجالا لتجربته وهو فيه ابعد ما يكون عن الخضوع لقواعد القصة فى مفهومها الحديث » وهذا السرد الشعري مشبع بالغنائية والتي هي تعبير عن انفعالات الشاعر ازاء الاحداث اكثر من كونها كلمة تنطبق على كل شعر غير ملحمي او تمثيلي .

يقول الدكتور مجدي وهبه (٦) « ان الغنائية تستميل النفوس من حيث الفكرة التي تخاطب العقل والشعور الذي يناجي القلب وموسيقى الشعر التي تتردد فى الاذن والصورة الشعرية التي تمثل فى الخيال ... وللغنائية وسيلتا تعبير : الوسيلة الاعترافية التي تنقل المشاعر الذاتية الى القارىء والوسيلة الخطابية التي تعبر عن مشاعر عامة كالتغنى بحب الوطن او التأمل فى الموت والطبيعة والقدر » ، وهذه الاوصاف تصدق كثيرا على شعر فدوى .

ففي اللوحة الغنائية نجد ايقاع الترابط (٧) وايقاع التكرار (٨) ، والايقاع اصلا يتموج فى هبوط وصعود حتى يصل الى التفاؤل وكأنه الشاطىء للنورس ، ولا شك فى ان النقاد فطنوا الى الملامح الرومانسية بدون استثناء (انظر الاشارة الاولى فى الهوامش) ، وانا اضيف ان المادة احيانا قد تؤدي دورين كما فى لفظة « القمر » ففي حين تحن الشاعرة الى عودة القمر ، وذلك بعد ظلمة الاحتلال فالقمر

لم يعد منسجما ببساتين الزهر

(ص ٩٠)

و

نحر الليل القمر

(ص ٨٧)

والدور الاخر ان الشاعرة تتمنى ان يغيب القمر

لو ان القمر
يعود الى كهفه فى الجبال ويرخي الستر
اخاف الضياء يشي يا حبيبتي بنا
فان كلاب الطراد على دربنا
تجن اذا برقت فى الظلام نصال القمر

(ص ١٠٤)

اذاً فالقمر فى اختفائه وظهوره تأخذه الشاعرة رمزاً لقضيتها ، ومنتهى حوراني ، الطالبة التي قتلت فى يوم لسن كالايام كانت

« **تعلق اقمار افراحها فى سمائها الكبيرة**

(ص ٢٢)

بيد ان الشاعرة فى وقت اخر تسأل :

وانا فى زحمة هذا الويل
يا قمري كيف وصلت الي

(ص ٣٠)

فالقمر حبيب الشاعرة فى ارض الوطن يتردد عندها بصورة ملموسة ومتغايرة ، ثم تعود الشاعرة لتؤكد ان القمر رمز لعودة الحياة الجميلة

ان القمر وان ضل عني
سيعرف نحوي طريقه

(ص ٦٢)

واذا كان « القمر » من الفاظ الرومانسية فان « الطير » يتردد كذلك بصورة ظاهرة وفى دورين

طير سنين القحط

(ص ١٧)

يا طير البحر الطالع من قاع الديجور
بشرك الله بكل الخير

(ص ٤٦) .

* * *

انها تكتب اللوحات بموسيقية الشعر الحر ، تختار اللفظة الاصولية وقلما وردت كلمة جديدة خارجة عن القاموس الكلاسيكي ، واذا وردت فانها ليست نابية .

والزمن المبتور الساقين المتسربل بالكاكي

(ص ٧٥)

ونه ف مزنجرة تعبر السوق افسح فيه مكانا

(ص ٦٤)

وبرغم هذه المحافظة الاصولية على اللغة فان الشاعرة تخطىء اذ تؤنث لفظة « الراس » اسوة بكثير من كتاب مصر الذين يتأثرون بالعامية المصرية تقول فدوى

« **راسك الشامخة** »

(ص ١٤)

كذلك

« **احسو القهوة علي اوقظ هذي الراس المخمورة** »

(ص ٢٨)

كما وتقول الشاعرة « يتوجب علينا (ص ٧٣) والاصح يجب علينا لان يتوجب فى اللغة معناها يتناول وجبة الطعام .

وثمة ملاحظة شكلية اخرى ولكنها هامة :

ان الديوان لم يصدر له فهرست (٩) كما لم يكن هناك نقل امين لما ورد فى اصل القصائد المنشورة فى « الليل والفرسان » و « قمة الدنيا وحيدا » وعلى سبيل المثال نشر فى « الليل والفرسان » خمس

اغنيات للفدائيين (١٠). وقد نقلت القصائد الخمس في الديوان الذي بين ايدينا بل وتوزعت في الكتاب من غير الاشارة الى الاهداء . كما ان قصيدة « الى الوجه الذي ضاع في التيه » لم يشر الا انها مهــداة الى J كما راينا في « الليل والفرسان » .

ومجمل القول ان الشاعرة تقدم لوحات شعرية بسرد قصصي غنــائي فيه ايقــاع الترابط والتكرار وخطوط هذه اللوحة الفــاظ رومانسية كالقمر والطير والزهر . وتظل العبارة كلاسيكيــة تحمل شحنــات موسيقية .

هوامش :

١ـ من المواد الجديرة بالقراءة كتاب « فدوى طوقان والشعر الاردني المعاصر » بقلم شاكر النابلسي وفيه تركيز على الحب في شعرها ويظهرها رومانسية حالمة ويقسو عليها متهما اياها بالتقريرية والسطحية كما ويركز احيانا على بعض قصائدها المبدعة . ومــن المقالات :

● دراسة للبروفيسور سوميخ نشرت في مجلة كيشت العبريــة (ربيع ـ ١٩٧٠) ص ١٢٢ وعنوان الدراسة « قلب امراة مــن الشرق» وفيه يشير الى رومانسيتها والى اتخاذها الطبيعة ملجا للهروب والى ان الشعر الوطني عندها كثيرا ما يكون غريبا علــى روحها (!!) وليس وراء اشعارها دلالةهامشية وفيه سذاجة (!)

● مقال للدكتور عبد اللطيف عقل « فدوى طوقان والجدران الثلاثة » نشر في الشرق (حزيران ـ ١٩٧٢) ص ٦٩ وفيه تركيــز على العناصر الرئيسية الثلاثة : الحب والفن والموت .

● مقال لامطانيوس ميخائيل نشر ضمن كتابه « دراسات في الشعر العربي الحديث » ص ٢٨٨ فيه تركيز على الاسى والهــروب والحب والموت .

● مقال محمد جواد النوري (جريدة القدس عدد ١٢/٢٤/ ٧٨) . عن ديوان (على قمة الدنيا وحيدا) يعمد الكاتب الــى تميز الشاعرة في معجــم شعرى وغموض الصور وتراسل الحواس وتجسيد المعاني .

٢ ـ ديوان « وجدتها » دار الاداب ـ ١٩٦٢ ص ٥ وهي تحكي قصة لاجيء يحن الى ارضه فيقرر بعد سبع سنوات مــن العذاب ان يتخطى الحدود ليعانق اشجاره ويقتل .

٣ـ من الطريف ان اذكر ان قصيدة اخرى بعنوان « رسالة الى صديق غريب » نشرت في « الليل والفرسان » ص ١٤ وفيها مضمون مختلف عن « رسالة الى صديق غريب » المنشورة في « قصــائد سياسية » ويبدو لي هنا التركيز على الاغتراب او الاستلاب عند الشاعرة .

٤ ـ انظر مثلا : ذهب الذين نحبهم ص ٨ ، حمزة ص ٧٨ ، نبوءة العرافة ص ٩٧ .

٥ ـ انظر هلال محمد غنيمي ، « دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده » ، دار نهضة مصر ص ٥٩ .

٦ ـ وهبه مجدي . معجم المصطلحات الادبية ص ٢٩٧ .

٧ ـ انظر مثلا قصيدة ايتان ص ٧٤ وفيها جريان الترابط او التواصل المستمر .

٨ ـ تكرار الصوت الداخلي مثلا « حاذري اخوتك السمة » ص ٩٨ وتكرار بعض العبارات الشعرية ص ٢١ ، ٢٦ ، ٦٤ .

٩ ـ هذه ملاحظة تنطبق على كثير من الدواوين التي اصدرتها « دار الاسوار » .

١٠ ـ القصائد الخمس منشورة في « قصائد سياسية » ص٨، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٩٤ .

فاروق مواسى ـ باقة الغربية

المقاومة في الادب السوفييتي
(دراسة ومختارات ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥)

صدر مؤخرا عن مكتب « الاسوار » للنشر ، لصاحبه الاستاذ يعقوب حجازى ، كتاب المقاومة في الادب السوفييتى ، للكاتب شاكر نورى . والكتاب عبارة عن دراسة ومختارات ، اعتمد الكاتب في وضعها على النقد التاريخي كمنهج ، وهو يعنى بذلك « الاستشراف والكشف عن العلائق الجدلية بين أدب المقاومة السوفييتى والظروف الموضوعية التي افرزته ، اذ ان الادب يرتبط بالصيرورة التاريخية التى تعمل على دفع مراحل هذا التطور الى الامام » . وأما المنهج النقدى فهو « الاعتماد على النص وما يصوره من تجربة انسانية ويعبر عنه في مضمون وواقع معاش » (ص ١١ ـ ١٢) .

والكتاب شيق وممتع باسلوبه وسلاسة لغته وعذوبة مضمونه .

لا يستعمل المؤلف الكلام المدبج المعوص ، ولا يعقد عملية السرد السريع المتتابع ، بل يقدم استعراضا لمراحل مختلفة من تطور الادب الروسى في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين (قبل ثورة اكتوبر) ومرحلة الثورة وما بعدها ، ثم يركز على أدب المقاومة في اثناء الحرب العالمية الثانية ، كل هذا الاستعراض يأتى ضمن ١٦٦ صفحة من الحجم الصغير ! نشعر خلالها وكأنك تركض مع الكاتب ومع الاحداث ، تركض دون أن تلهث ، تركض بسرور .. بغضب .. بتفاؤل .. بفرح .. بعزيمة .. بمعنويات .. بروح ثورية، وتصل نهاية المشوار ولا تتعب .

ويصح القول : ان الكتاب الذى نحن بصدده لم يوضع للمختصين والدارسين ، انما وضع للجماهير الشعبية العريضة ، وهل من حاجة للتأكيد على ان الاديب الثورى يكتب للجماهير ؟ وان الادب الثورى يكتب للجماهير ؟ وانه بدون جماهير الشغيلة ، لن يكون أدب ولن يكون اديب !

قالى الكتاب .

يقسم الكتاب الى ثلاثة أقسام رئيسية :

يعرض الكاتب في القسم الاول (التوطئة) كما يقول : نبذة مختصرة عن آداب المقاومة العالمية عبر التاريخ ، ومراحل تطور الادب الروسى بعد ثورة اكتوبر واتجاهاته البارزة ، وكذلك علاقة الثورة بالادب . ثم يعطى نبذة تاريخية مختصرة عن الايديولوجية الفاشية والحرب الوطنية العظمى وسمات الادب السوفييتى ومقاومته للفاشية .

ويتحدث الكاتب في القسم الثانى حول سمات الشعر السوفييتى في سنوات المقاومة مع عرض سريع لحياة معظم شعراء المقاومة ويتضمن هذا القسم مختارات شعرية منها : « هل تذكرين يا اليوشا » للشاعر قسطنطين سيمنوف و « زويا » للشاعرة مارغريتا اليغر ، و « الموت والجندى » للشاعر الكسندر تيفاردوفسكى و « هل يريد الروس الحرب » للشاعر يفغيني يوفتشنكو وقصائد لالكسي سوركوف وميخائيل ايساكوفسكي والكسندر بروكوفييف وسيميون كودزينكو وسيرغي ناروفجاتوف .

أما القسم الثالث فهو عبارة عن دراسة سريعة واستعراض مختصر للقصة والرواية والمسرحية ابان سنوات المقاومة .

ويتضمن الكتاب كذلك قسما رابعا حول المسرح في جبهات القتال ، وقسما خامسا يتحدث عن السينما ، الرسم ، الموسيقى ودور الفن في الحرب ضد الفاشية .

حينما يتطرق الكاتب الى تعريف ادب المقاومة يقول : ان ادب المقاومة هو ادب المقاومين ، اولئك الذين يعيشون التجربة لحظة اثر لحظة ، وهو ادب يرى فيه المقاومون انفسهم ، ويراهم فيه ويحس بهم كل الناس .. (ص ١٨)

ولا يتوهج ادب المقاومة الا في قلب المقاومة حيث يعانق المقاتل وجدان الفنان . وادب المقاومة هو الادب الذي كتبت مسوداته في الخنادق والمتاريس والجبهات والمخيمات وفي اثناء قصف النيران والبنادق .. (ص ١٩) . ويقتبس الكاتب مقولة « هوشي منه » الشهيرة والتي هي خير ما يعبر عن طبيعة ادب المقاومة : « ان الاديب ، مقاتل بالكلمات في حرب التحرير » ، ويضيف : ان ادب المقاومة يساهم في عملية تغيير الانسان والعالم ، ويحمل دائما روح الثورة والمقاومة والصمود . (ص ٢٠)

وتكمن الاهمية التاريخية لادب المقاومة في انه لدى مختلف الشعوب عكس مرحلة تاريخية معينة مر بها ذلك الشعب .. وان آداب المقاومة تستمد قواها من الواقع الموضوعي ، وتستشرق من خلاله آفاق المستقبل بصورة ديناميكية فعالة . (ص ٢١)

وينتقل الكاتب الى الحديث حول اداب المقاومة العالمية ويلقي نظرة سريعة على شعراء المقاومة الفرنسية ، اراغون وبول ايلوار ، والشاعر التشيلي الكبير بابلو نيرودا ، وشعراء اسبانيا خاصة لوركا وميجيل هرنانديز ، والشاعر البلغاري فابزاروف الذي اعدمه الفاشست في ١٩٤٢/٧/٢٣ وهو يصرخ بوجه الجلادين : من يسقط في معركة الحرية ، لا يموت ابدا .. لا يمكن ان يموت .

ويقول الكاتب حول ادب المقاومة الفيتنامي : هو ادب الصراع اليومي للشعب المقاتل الذي يتمسك بالواقعية الاشتراكية ويعبر بصدق عن الحياة الجديدة والانسان الجديد . (ص ٢٤)

ولا يقل ادب المقاومة الفلسطيني ، في صراعه ضد الصهيونية ، اهمية عن آداب المقاومة العالمية . ويتحدث الكاتب حول مأساة حزيران ١٩٦٧ وتأثيرها على الوعي الجماهيري وكيفية استيعابها من قبل توفيق زياد وسميح القاسم ومحمود درويش ورفاقهم .

اما حول ادب المقاومة السوفييتي فيقول : ان مرحلة الحرب العالمية الثانية من اخصب الفترات التي مر بها الادب السوفييتي اذ اغنت الادب باروع التجارب كما وادت الى ظهور شعراء وكتاب قادرين على التفاعل مع تجربة الشعب النضالية في تقرير مصيره ، ويضيف ، انه من الصعب دراسة تاريخ الحرب الاخيرة دون معرفة النتاجات الادبية لاولئك الكتاب والشعراء امثال : الكسي تولستوي، اهرنبورغ ، شولوخوف ، فاديف ، غروسمان ، تيخونوف ،

ليونوف ، سيمنوف ، فيشينفسكي ، بروكوفيف ، تفاردوفسكي وغيرهم .

لقد رسم الشعراء والكتاب صورة عميقة للشخصية الانسانية، واعطوا نظرة تاريخية وفلسفية لمجرى الحرب . (ص ٤٩)

في القسمين ، الثاني والثالث من الكتاب ، يستعرض الكاتب الخصائص الفنية والفكرية للتجربة الرائدة في ادب المقاومة السوفييتي ، هذه التجربة التي ستبقى ملحمة خالدة من ملاحم الانسانية على مر العصور .

وحين يتحدث عن ملحمة البطولة الانسانية في شعر المقاومة السوفييتي ، يتطرق الى صورة البطولة في شعر المقاومة ، ويتكلم عن النموذج الثوري المقاتل « فاسيلي تيوركين » النموذج الذي يتواجد في كل الخنادق والجبهات . لم يكن الابطال الذين خلقهم الادب السوفييتي المقاوم تماثيل جوفاء ، انما مقاتلون حقيقيون يحيون بطولتهم من خلال واقع الحرب . فقد اصبح تيوركين نبضا حيا وتعبيرا عن كل جندي يعاني ولا تسقط روحه . وتمكن الشاعر ـ الكسندر تفاردوفسكي ـ ان يحول تيوركين الى رمز خالد ليس في اذهان الجنود فحسب ، وانما في اذهان جميع ابناء الشعب السوفييتي . ويستهل الشاعر القصيدة ، الملحمة ، بالابيات التالية :

من وراء القمة البعيدة ،
انبعث ضجيج المعركة وبريقها ،
لكن رفيقنا تيوركين
يرقد وحيدا على الثلوج ،
حيث اصطبغت بلون قرمزي .

ويتحدث الكاتب عن الشعر الغنائي في الحرب وينتقل الى الحديث عن زويا .. وملامح المراة المقاتلة . ويقول : انها روح المقاومة الصامدة بوجه النازية .

كانت زويا تقاتل وتنقل الرسائل البريدية بين قطعات الجنود. وتمكن الفاشست من اسرها ، وبعد تعذيب وحشي رهيب اعدموها والقوا بها عارية في الثلوج حتى تجمدت واصبحت كلوح الجليد . وبفضل الشاعرة اليغر اصبحت زويا رمزا للمراة العاملة المقاتلة في انتصارها العظيم على العدو الفاشي .

وخير ما يمكنني ان انهي به هذه المراجعة ، هي قصيدة «زويا» التي تعمدت ادخالها كاملة في هذه المراجعة ليتمكن اكبر عدد ممكن من القراء ، خصوصا الاجيال الشابة ، من الاطلاع عليها .

مارغريتا اليغر
« زويـــا »

احتفظ بصورة « زويـا » جوارك دوما
انني ساراها طوال حيـاتي ، واعرف
بانهـا ليست ميتـة ،
او حيـة ،
زويـا الرخاميـة ،
جسدها العـذري ،
يمتـد على الثـلج ،
حبل ثاس يربط عنقها النحيف ، ويجرحه ،
وفي وجهها المرفوع عاليا قوة خفيـة ،
اشبه بفتـاة عاشقة ،
يتالق جمالهـا ،
بجوار التالق الغامض لنيران العاطفة ،
لم يات الحبيب المحتم لانقاذهـا ..
لان طريقه طريق الجندي
الذي يقوده نحو الغرب .
ربما يمر بجوار هذا المكان المريع حيث ،
يتساقط رذاذ الثلج على صدرها العذري ،
وحدة فريدة بين الضعف والقوة الابديـة ،
انت باردة ودافئة ،
جسدك لم يعرف التمزق المتقد
للامومة ، ولا ذلك الصدر الجاف ـ الطفل .
هنـاك ترقدين على الثلج ،
كم
منحت من اجلنـا .
هكذا ترقدين فخورة ، مسترخية ، ووجهك الجميل شاحب
كل ذلك من اجل سماء الجندي المقدسة ،
كل ذلك من اجل اكياس البريد الثقيلة .
تقبلي حبنا إذن . كوني مثلنـا الاعلى ،
في القوة والعدالة ، لذلك ، نحتفظ بالثقة ،
فوق قبرك المغطى بالثلوج ، يعزف مزمار راسخ ،
صوب الغرب ، الغرب ،
هنا حشود من الجنـد ،
تجـدد
القسـم .

الدكتور ادوار الياس ـ الجش

كتب جديدة فى السوق «١»

نتاج محلي

« كوشان » لمحمد نفاع

اصدرت دار الاسوار ـ عكا ، مجموعة القصصي محمد نفاع الثالثة بعنوان « كوشان » .. وهي تضم بالاضافة الى القصة ، عنوان المجموعة القصص التالية . لانا نحب الارض ، تمرين في الدفاع المدني ، بدوح اداب بدوح ، لعلم ، استقبال الحاكم ، الجمل ، واحد ما لنيرين ، الارض مرصودة باهلها ، الناطور ، واشياء غريبة .

ويقع الكتاب بـ ١٢٤ صفحة من الحجم المتوسط . وقد خططت غلافه سبيل كاملي . . . وافتقر الى لائحة المحتويات ـ الفهرس .

وفي هذه المجموعة الجديدة يتابع القصصي محمد نفاع اسلوبه الرشيق الشعبي الجليلي (او الجرمقي على حد تعبير الكاتب محمد علي طه) الذي عرفه القراء في مجموعتي « الاصيلة » و « ودية » .

أغنية المواسم القادمة ـ عصام خورى

اصدر مكتب البرج في عكا مجموعة قصصية للكاتب عصام خوري ، وتقع في ١٢٦ صفحة من القطع الصغير وتضم ثماني قصص ـ التمثال ، الوجه غير المشوه ، الشوارع ، الاثر ، عندما نمارس الحب ، اغنية المواسم القادمة ، سيرة فرهود على الطريق بين حيفا وعكا . . .

وقد نشر عدد منها في « الجديد » و « الاتحاد » ، ويهدي الكاتب مجموعة الى « رلى حبيبتي ودلي قبيلتي » . وتزين المجموعة لوحات رسمت بريشة الرسام العكي وليد قشاش .

أصحاب الاخدود ـ عبد الرحمن عواوده

واصدرت دار الاسوار ـ عكا ، مجموعة الشاعر عبد الرحمن عواوده الثانية ـ اصحاب الاخدود ـ وتضم ١٥ قصيدة وتمتد على ٨٧ صفحة من الحجم الصغير . .

وبالاضافة الى القصيدة الاولى عنوان المجموعة جمع الديوان القصائد : العام الجديد ، ظاهرة جديدة في العشق الفلسطيني ، اعيدوا الى حياتي ، الاغنية الثورية ، خذيني بالمحبة انت حلم ، مقاومة ، ما بين النجمة والنجمة ، ثورة النور اغنية خفيفة ، يأبى التاريخ الا ان يمد عنقه ، مطر مطر .. فالارض ربت ، قصة الجرح ، نشيد الجبهة ، والدخول في مجال الشمس .

من الوطن مع خالص الحب ـ مصطفى مراد

اصدرت منشورات الصداقة في الناصرة باكورة اشعار مصطفى مراد من يافة الناصرة والذي يدرس الادب العربي في جامعة تل ابيب . والمجموعة تحمل عنوان « من الوطن مع خالص الحب » ويهديها المؤلف « الى لا شيء » (!!) . تقع في ٧٠ صفحة من الحجم الصغير وتضم ١٣ قصيدة هي : عن بيروت ، البعث ، لبعث ، اصخرة انتم ، تراتيم حزينة على شيء اسمه وطن ، الاطفال يعيدون كتابة التاريخ ، راشد حسين ، من الوطن مع خالص الحب ، فعيل فعول ، القدس ذات الباب المغلق ، ايران ، عرض حل جديد ، ودمشق والزمن الرديء .

نتاج المناطق المحتلة

« عباد الشمس » رواية سحر خليفة

واصدرت دار الكاتب في القدس العربية المحتلة رواية الكاتبة سحر خليفة الثانية « عباد الشمس » وتقع في ٣٥٢ صفحة من الحجم المتوسط .. وصمم غلافها الفنان سليمان منصور .

ومثل روايتها الاولى « الصبار » ، تتمحور

---

١ ـ لا ننشر ، في هذا الباب ، الى بعض الكتب التي تهدينا اياها دور النشر لان المؤتمنين يعالجونها وننشر معالجاتهم في باب « مراجعات » .. ومن هذه الكتب في هذا العدد قصائد سياسية لفدوى طوقان ، وادب المقاومة السوفييتية لشاكر نوري ، ومشاهر العمر لوفيق معمر .. ولا يعني استعراض الكتب الجديدة في هذا الباب اننا لا نرحب بمعالجتها فيما بعد .

احداث الرواية الجديدة على حياة الشعب العربي الفلسطيني في الضفة المحتلة .

وجاء في تعريف دار الكاتب للرواية :

« تصور هذه الرواية فترة حرجة من حياة شعبنا في الضفة الغربية ، هي الفترة التي تلت حرب تشرين سنة ١٩٧٣ وتتناول بصدق وجرأة علاقات المجتمع من خلال تداخلاتها اليومية في حياة الافراد وانماط التفكير لتؤكد ان الهزات التي تصيب الشعوب انما تطيح بالابنية الاجتماعية المهترئة لتنهض من بعدها افكار وعلاقات جديدة تحملها اجيال وطبقات جديدة » .

واهدت الكاتبة سحر روايتها :

« اليك هل تسمعين ؟ غمنك وعنك استجيبت لوعدي وشرحت صدري بصدق وحب وايمان ثورة » .

« هزيمة الشاطر حسن » مجموعة أكرم هنية

كذلك اصدرت دار الكاتب مجموعة اكرم هنية القصصية الثانية وتقع في ٩٥ صفحة من القطع الصغير وصمم غلافها ايضا الفنان الفلسطيني سليمان منصور .

وتضم المجموعة : « هزيمة الشاطر حسن . الزوار ، وردتان للزميلة ندى ، مؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء هاما ، الرحلة ، ابو قاسم يشارك في النهوض الجماهيري ، وشهادات واقعية حول موت المواطنة «منى . ل» » .

وكان المؤلف قد اصدر عن الدار نفسها « السفينة الاخيرة ... الميناء الاخير » .

من العالم العربي

الثورة الفلاحية الشعبية في لبنان

اضافت منشورات صلاح الدين – القدس – الى المكتبة العربية في هذه البلاد مؤلف « الثورة الفلاحية الشعبية في لبنان » للكاتب التقدمي الراحل داود قازان . ويقع في ١٥٤ صفحة من الحجم الصغير .

ويعالج الكاتب اللبناني في هذا المؤلف الثورة الفلاحية الشعبية التي انفجرت في لبنان في ١٨٥٨ وقادها الحداد طانيوس شاهين .

وقد كانت هذه الثورة آخر سلسلة الثورات الفلاحية ، التي عرفت « بالعاميات » .. واهمها وبخاصة انها اعلنت الجمهورية الشعبية ، الاولى في التاريخ المعاصر .

ويحلل الكاتب تحليلا علميا – سياسيا واقتصاديا واجتماعيا مقدمات الثورة ودوافعها الطبقية ويؤكد طابعها المعادي للاقطاعية ..

ويحدد مختلف العوامل الداخلية (دور الاقطاعيين ورجال الدين) والخارجية (الدول الامبريالية: بريطانيا وفرنسا والسلطنة العثمانية) التي احبطتها واغرقتها في بحر من المجازر الطائفية ..

ثم يلخص خبرة هذه الثورة فيشير الى تعاون المهددة مصالحهم الطبقية والذاتية مع القناصل الاجانب ويكتب انهم رأوا دفاعا عن مراكزهم المتخلخلة ان النفخ في نار الطائفية امضى سلاح للقضاء على الوثبة الاجتماعية . فانطلق دعاة السوء ورسل الشر يثيرون المسيحيين على الدروز والدروز على المسيحيين فلم يطش سهمهم ... واشتعلت الفتنة في ايار ١٨٦٠ وذهب ضحيتها عدد كبير من الابرياء في انحاء الجبل (١٢٣) ..

ولم تهزم الشمس – بقية

فقدت عملك .. لا يهم ما هو شعورك حين تعمل وانت تنتظر غضب صاحب العمل .. ماذا يعني هذا بالنسبة لهم ؟ .. لا شيء .. المهم ان تجمع ما استطعت من النقود .. كي تملك ما لا يملكه غيرك ... منطق عفن .. لا يصدر الا عن .....

توقف .. التقط انفاسه التي تسارعت بفعل انفعاله ...

هراء .. ان استمع اليكم ... انا لست كالذين ذهبوا ولن اكون ...

التفت الى الوراء .. كان قد سار طويلا .. رفع راسه كانت خيوط الشمس تنفذ خلال السحب الكثيفة ... ابتسم .. ومضى في ذات الطريق .

لا تسقني ماء الحياة بذلة ..

لعنترة العبسى

حكم سيوفك فى رقاب العذل
واذا نزلت بدار ذل فارحل

واذا الجبان نهاك يوم كريهة
خوفا عليك من ازدحام الجحفل

فاعص مقالته ولا تحفل به
واقدم اذا حق اللقا فى الاول

واختر لنفسك منزلا تعلو به
أو مت كريما تحت ظل القسطل

ان كنت فى عدد العبيد فهمتى
فوق الثريا والسماك الاعزل

أو انكرت فرسان عبس نسبتى
فسنان رمحى والحسام يقر لى

وبذابلى ومهندى نلت العلا
لا بالقرابة والعديد الاجزل

ورميت رمحى فى العجاج فخاضه
والنار تقدح من شفار الانصل

خاض العجاج محجلا حتى اذا
شهد الوقيعة عاد غير محجل

ولقد نكبت بنى حريقة نكبة
لما طعنت صميم قلب الاخيل (١)

وقتلت فارسهم ربيعة عنوة
والهيذبان وجابر بن مهلهل

لا تسقنى ماء الحياة بذلة
بل فاسقنى بالعز كاس الحنظل

ماء الحياة بذلة كجهنم
وجهنم بالعز أطيب منزل !

■ عنترة العبسى ، هو عنترة بن عمرو بن شداد أحد اشهر فرسان العرب واجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة ، وهو صاحب معلقة مشهورة .

كان من عادات العرب الا تلحق ابن الامة بنسبها بل تجعله فى عداد العبيد ، ولذلك كان عنترة عند أبيه منبوذا بين عبدانه ، ويرعى له ابله وخيله فربا بنفسه عن خصال العبيد ومارس الفروسية ومهر فيها . فشب فارسا شجاعا هماما وكان يكره من أبيه استعباده له وعدم الحاقه به ، حتى اغار بعض العرب على عبس واستاقوا ابلهم . فلحق بهم بنو عبس ، وفيهم عنترة ، لاستنقاذ الابل . فقال له ابوه : كر يا عنترة ، فقال : العبد لا يحسن الكر انما يحسن الحلاب والصر . فقال : كر فانت حر . فقاتل عنترة قتالا شديدا حتى هزم الغزاة واستنقذ الابل ، فاستلحقه أبوه . ومن ذلك الوقت ظهر اسمه بين فرسان العرب وساداتها .

اشتهر عنترة بحب عبلة ، ابنة عمه . وفى شعره امتزاج أخاذ بين الفخر الذى يكثف القيم العليا الرئيسية للمجتمع العربى الجاهلية ، والغزل الرائع . ولعل من غير الصدفة ان عنتر العبسى (« عنتر عبس ») قد تحول الى بطل قومى اسطورى للعرب ، نسجوا حول اسمه أسمى معانى الكرامة والشرف والشجاعة . كما تحولت قصة حبه أيضا الى قصة شعبية فولكلورية يتناقلها الناس جيلا بعد جيل .

(١) الاشارة هنا الى معركة شهيرة بين عبس وقبيلة بنى حريقة ، والاسماء فى البيت التالى هى اسماء فرسان مشهورين من القبيلة صرعهم عنترة خلال المعركة المشار اليها .

دعوة لانقاذ الاثار التى ترمز الى استقلال هايتى



الواجهة الغربية لقصر سان سوسى

افتتح السيد احمد مختار امبو ، المدير العام لليونسكو ، الحملة الدولية الاولى لحماية التراث الثقافي فى العالم الجديد ، فوجه فى ٢٠ مارس / آذار ١٩٨٠ نداء لانقاذ آثار هايتي ، قال فيه :

ان حصن لافرير ، وقصر سان سوسي وموقع رامية « تمثل الرموز الاولى لاستقلال هذه البلاد ، على اثر العراك الباسل الظافر الذي قام به المستعبدون السود فى الجزيرة ، يوم ١٨ نوفمبر / تشرين الثاني ١٨٠٢ ، فربحوا بافتخار حريتهم واعلنوا حق كل انسان فى الكرامة » .

والقى المدير العام كلمة فى حصن لافرير ، بحضور الرئيس على مدى الحياة السيد جان كلود دو فاليه ، اشار فيها الى ان هذا الحصن « قد بني لحماية هايتي من تكرر هجمات القوات الاستعمارية ، فاصبح له بذلك قيمة رمزية رفيعة فى نظر الشعب الهايتي .

فهو يمثل ، اكثر من اي عمل اخر من اعمال الهندسة العسكرية ، عزيمة البقاء الحر او الموت التي تجلت منذ انتفاضة اغسطس / اب ١٧٩١ حتى انتصار فرتييه . واتاحت لارقاء سان دومينغو ان يبتنوا امة لهم » .

وطالب السيد امبو بتوفير المساندة المادية والفنية للكلمات التاريخية التي تفوه بها الجنرال ديسالين حين قال : « باسم السود والملونين ، نعلن استقلال سان دومينغو . فقد اعدنا لانفسنا كرامتنا الاولى ، وامنا على حقوقنا ، ونحن نقسم باننا لن نتراجع ابدا امام اي سلطة في العالم » .

وقد تولى الجنرال هنري كريستوف بناء حصن لافرير في عام ١٨٠٤ ثم بادر الى بناء قصر سان سوسي ، بعد المناداة به ملكا لهايتي . واما موقع راميه فيقوم فوق حصن لافرير الذي يعتبر المعقل الاخير منه .

ويناشد السيد امبو العالم بمد يد المساعدة لانقاذ « هذه المواقع الثلاثة التي تشهد على تحرر هايتي ، والتي يتهددها اليوم خطر الفناء ، بسبب العوامل الجوية ، والرطوبة وتكاثر النباتات الاستوائية الباعثة على تفكك الحجارة والاجر ، ومن جراء الزلزال العنيف الذي انقض عليها في عام ١٨٤٢ وانزل فيها اضرارا جسيمة » .

واعرب السيد امبو عن ثقته بان هذا النداء ، اسوة بالنداءات السابقة التي وجهتها اليونسكو في سبيل النوبة (مصر والسودان) والاكروبول (اليونان) والبندقية (ايطاليا) وبوروبودور (اندونيسيا) وموئنجودارو (باكستان) وسوخوتهاي (تايلند) ومالطة ، « ستنشأ عنه حلقة جديدة في سلسلة المساعدات البشرية والمادية ، المالية والتقنية ، التي من خلالها تعبر الجماعة الدولية ، مرة اخرى ، عن الاخوة القائمة بين البشر عبر الحوار الدائر بين ثقافاتهم ، وعن المطالبة بالفن العالمي إرثا لهم غير قابل للانقسام » .

(انباء اليونسكو)

تحويل بيت بلزاك الى متحف قومي

* حولت الحكومة الفرنسية المنزل الذي عاش فيه الروائي الفرنسي « بلزاك » في الفترة من ١٨٤٠ الى ١٨٤٧ الى متحف تعرض فيه اعماله .

يضم المتحف الادوات اليومية التي كان يستخدمها بلزاك الى جانب بعض الرسائل التي كتبها وبعض المذكرات التي دونها بيده الى جانب الاعمال الكاملة للروائي الكبير ومجموعة الدراسات التي ظهرت عن بلزاك ورسائل الدكتوراه التي كانت تتضمن اعماله او شخصيته .

بلزاك توفي عام ١٨٥٠ تصور معظم رواياته المجتمع الفرنسي قبل اندلاع الثورة ومن اشهر اعماله الروائية «الكوميديا الانسانية» و «اوجيني جرانديه» .

رأى الجديد ــ بقية

الفاشية .. واخطر هذه القوانين العنصرية ــ الفاشية قانون مصادرة أراضي عرب النقب .. ولا يغير من طابعه الرجعي العنصري مصادقة اكثرية اعضاء الكنيست عليه .. فمجرد انه يحرم المظلوم من حق اللجوء الى القضاء لدفع البلاد عنه يشحنه بالفاشية التي فرضت في يومها « قوانين شرعية » !

ان مشروع تعديل تمير يهدد المواطنين العرب الذين يؤيدون حقوق الشعب العربي الفلسطيني .. ولكنه لا يهددهم وحدهم بل يهدد المواطنين اليهود الذين يرفضون سياسة التوسع الصهيونية ويرون مصلحة شعبهم في الاعتراف بحقوق الشعب الآخر ..

ومن هنا تنشأ ضرورة مقاومة هذا المشروع .. ومقاومة مظاهر الفاشية الاخرى .. هذه المظاهر التي تتجسد تنظيميا بنشاط « غوش ايمونيم » وامثالها .. وايديولوجيا باستنزاف الدمقراطية والسياسة العقلانية واحلال التعصب والغضب العنصري مكانها .

(« الجديد »)

الاسلام والعملية الثورية ـ بقية

وربما ... « الجامعة الاسلامية » وطرحته امام الجماهير الثائرة لتلتف حوله وتقاوم الاشتراكية والشيوعية به .

وازاء هذا الخطر الاسود تصدت الاممية الشيوعية لشعار الجامعة الاسلامية واوضحت طابعه الطبقي وماهيته المعادية للثورة .

وقرر مؤتمر الاممية الشيوعية الذي عقد في موسكو في حزيران ـ تموز ١٩٢٠ مبادىء الكفاح من اجل التحرر القومي والاجتماعي .. مبادىء النضال من اجل انتصار الاشتراكية .

وجاء في البند ١١ الذي عالج اوضاع الدول والامم الاقل تطورا حيث تسود العلاقات الاقطاعية ان من الضروري مساعدة جميع الاحزاب الشيوعية لحركة التحررية البرجوازية الدمقراطية ..

وفي هذا الصدد دعت الاممية الشيوعية (عبر هذا البند) فيما دعت اليه من واجبات : « ضرورة النضال ضد رجال الدين وغيرهم من عناصر الرجعية والقرون الوسطى ذوي النفوذ في البلدان المتاخرة ... وضرورة النضال ضد الجامعة الاسلامية وما شاكلها من التيارات التي تحاول ربط الحركة التحررية المناهضة للاستعمار الاوروبي والامريكي بتوطيد مراكز الخانات (امراء الاقطاع) والاقطاعيين والشيوخ »(٢) .

وكان واضحا آنذاك ان موقف الاممية الشيوعية صادر عن التوجه الطبقي ازاء الطبقات العليا ـ معاداتهم ومعاداة شعاراتهم ولم يتطرق الى جوهر الدين او عقائده .. فالنظام الاشتراكي القائم في الدولة السوفييتية اعلن تمسكه باحترام معتقدات الناس الدينية دون تفريق بين الاسلام والمسيحية واليهودية ..

ومن هنا اكد المؤتمر على ضرورة مقاومة رجال الدين ، لا الدين ، ومقاومة رجال الدين وغيرهم من عناصر الرجعية والقرون الوسطى ، اولئك الذين كانوا يحاربون القضاء على نظام القهر الطبقي ـ الاجتماعي ، نظام الاستغلال الشرير .

ومن هنا اوضح المؤتمر ان النضال ضد شعار الجامعة الاسلامية يعود الى محاولة اصحابه ، الخانات والاقطاعيين ، ضرب الحركة التحررية المناهضة للامبريالية لتوطيد مواقعهم الطبقية الضيقة .

وهذا الموقف المبدئي الذي ينطلق من رؤية مصلحة الجماهير الشعبية في التحرر القومي والاجتماعي وفي بناء مجتمع الاشتراكية والمساواة ، هو ذاته هو الذي قرر نهج الاممية الشيوعية ازاء قوى اجتماعية معينة .. وشعارات اسلامية اخرى .

وهكذا قررت الاممية في مؤتمرها الرابع في ٥ كانون الاول ١٩٢٢ « الاطروحات العامة حول المسألة الشرقية » اي مسالة الكفاح من اجل التحرر القومي والاجتماعي ، ومن بينها هذان الموقفان :

* فقد اقرت التعاون ليس فقط مع ممثلي البرجوازية الوطنية كما جاء في مقررات مؤتمر الاممية الشيوعية الثاني وانما ايضا مع ممثلي ... الارستقراطية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة التي لم يتفسخ فيها النظام الاقطاعي ـ ... (الابوي) بعد الى الحد الذي يسمح لهذه الفئات بلعب دور القيادة النشيطة في النضال المعادي للامبريالية .

* كما اقرت تأييد الحركات القومية التي ترفع شعارات اسلامية .. وجاء في هذا الصدد في تلك الاطروحات في معرض تفسير هذا الامر :

« ان الحركة القومية في البلدان الاسلامية تجد في البدء ايديولوجيتها في الشعارات السياسية الدينية لحركة الجامعة الاسلامية .. ولكن مع اتساع نضال حركة التحرر الوطني تتراجع الشعارات السياسية الدينية لحركة الجامعة الاسلامية امام المطالب السياسية الملموسة »(٣) .

ونؤكد مرة اخرى ان هذه الدعوة الى التعاون مع ابناء الارستقراطية واعلان تأييد الحركات القومية بشعاراتها الاسلامية يظهران ان العامل المقرر او مقياس الحكم على القوى الاجتماعية وايديولوجيتها يعتمد على موقع هذه القوى ومكانة ايديولوجيتها في عملية الثورة ، عملية التحرر القومي والاجتماعي ..

وهذا الموقف لم يتغير حتى اليوم .

[وسنعالج في العدد القادم موقف القوى الثورية من هذه الظاهرة الاسلامية في المرحلة الراهنة] .

---

١ ـ حصر المستشرق الاسرائيلي عمانوئيل سيفان خيبة الامل بالشيوعية فكتب في « دافار » : « ان العودة الى الاسلام تعود الى تلاشي جاذبية الشيوعية في سنوات الخمسين ... والى اوهام العظمة القومية ونمو الشعور بالاحباط الشخصي في التقدم الاجتماعي الذي انتشر بين الجماهير في الشرق الاوسط الاسلامي » (٩-٢-٧٩) .

٢ ـ كتابه : « اسلام القرن العشرين » . اورد ذلك سمير سعد في مقاله « الاسلام في حركة التحرر الوطني للشعوب العربية وشعوب الشرق » (« النداء » ـ ٧٩/١٢/٢٨) .

٣ ـ جرت الحملة بعد ان وطد محمد علي اركان حكمه في مصر وبدأ مرحلة تطويرها اقتصاديا .. وظهر في تلك الفترة امكان التكامل الاقتصادي بين مصر وسوريا الطبيعية .. وهذا العامل الاقتصادي كان العامل الحاسم في تحريك هذه الحملة .

٤ ـ هذه الآراء اوردها الكواكبي في كتابه « ام القرى » وصاغها على شكل ندوة اشترك فيها مندوبون من مختلف الاقطار العربية ـ

الاسلامية ولخصها على هذا الوجه سكرتير المؤتمر « الفراتي » .. وقد اوردها احمد امين في كتابه « زعماء الاصلاح في العصر الحديث» ص ٢٦٧ — ٢٧٧ .

٥ — المصدر ذاته ص ٨ .

٦ — المصدر ذاته ص ٨ .

٧ — من مقال : « الانجليز والاسلام » : « العروة الوثقى » (مجموعة مقالات) تأليف جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٠ ص ٣٦٩ .. ويستطيع مراجع مقالات هذه المجلة ، التي صدرت في باريس ومنعت بريطانيا توزيعها في مصر ، ان يجد حملات مركزة على بريطانيا وتحذيرا من مؤامرات الدول الكولونيالية الاخرى — روسيا القيصرية وفرنسا .

٨ — المصدر ذاته ص ٤٣٢ — ٤٣٣ .

٩ — وفي وسع المهتم ان يجد هذه الدعوة الى الوحدة الاسلامية في مقالات عديدة من بينها « دعوة الفرس الى الاتحاد مع الافغان » « سنن الله في الامم وتطبيقها على المسلمين » . المصدر ذاته ص ١٤٧ و ص ١٦٩ .

١٠ — المصدر ذاته ص ١٠٧ — ١١٢ .

١١ — القصد القومية .

١٢ — المصدر ذاته ص ٤٣ .

١٣ — المصدر ذاته ص ٤٧ — ٤٨ .

١٤ — «الجنسية والديانة الاسلامية» ص ٥٠ وفي مقال «الماضي الامة وحاضرها وعلاج عللها » . كتبت « العروة الوثقى » ان علاج الامة الناجع « يكون برجوعها الى قواعد دينها والاخذ باحكامه على ما كان في بدايته ... ولان جرثومة الدين متاصلة في النفوس بالوراثة من احقاب طويلة .. فلا يحتاج القائم باحياء الامة الا الى نفخة واحدة يسري نفثها في جميع الارواح لاقرب وقت » ... المصدر ذاته ص ٦١ .

(١٥) تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده تاليف رشيد رضا الجزء الاول (القاهرة) ص ٨٢ — ٨٣ .

(١٦) « العروة الوثقى » الكتاب المذكور اعلاه ص ١٤٥ — ١٤٦ .

(١٧) في عهده نشبت ثورة عرابي في ١٨٨٢ واحتلت بريطانيا مصر بدعوة منه وبذريعة حماية « النظام » !!

(١٨) نقلا عن كتاب « الثوري المعاصر » لناجي علوش بيروت ١٩٦٠ ص ١١٩ .

(١٩) كتاب زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، احمد امين ص ١٤٨ .

(١٩ *) المصدر ذاته .

(٢٠) ام القرى ١٦٠ — ١٧٢ . اثبت ذلك انيس الخوري المقدسي في كتابه الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ص ١٠٩ — ١١٠ .

٢١ — طبائع الاستبداد اقتباس الثوري العربي المعاصر ص ٧٦ .

٢٢ — كتاب «العروة الوثقى» المذكور اعلاه ص ٤٠١ وفي هذا المقال بعنوان « هؤلاء رجال الانجليز وهذه افكارهم » كتب محمد عبده ان المصريين قوم عرب وكلهم مسلمون الا قليلا وفيهم محبو اوطانهم مثل ما في الشعب الانجليزي ص ٤٠٠ .

(٢٣) الثوري العربي المعاصر ، المذكور اعلاه ص ١١٤ — ١٤٥ .

(٢٤) كتابه زعماء الاصلاح في العصر الحديث المذكور اعلاه ص ٣٤٠ — ٣٤١ .

٢٥ — « العرب العثمانيون ١٥١٦ — ١٩١٦ » للدكتور عبد الرفيق رافق ، دمشق ١٩٧٤ ومطبعة السروجي عكا ١٩٧٨ ص ٤٤٦— ٤٤٧ .

(٢٦) كتابه المذكور اعلاه ص ٤٦٥ .

(٢٧) اورد هذا انور الرفاعي في كتابه « جهاد نصف قرن ، سمو الامير سعيد آل عبد القادر الجزائري » المطبعة العمومية دمشق ص ١٢ .. وعالج اكثر من كاتب نشاط المبشرين الاوروبيين والامريكيين في المستعمرات ومحاولتهم محاربة الاسلام بالتشهير والقدح به من ناحية وتنصير المسلمين من ناحية ثانية ويذكر د. مصطفى الخالدي و د. عمر فروخ في كتابهما « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » — بيروت — ان المبشرين المسيحيين الفرنسيين كانوا يوزعون كتابا يذم بالاسلام واوردا ما جاء في كتاب المنسنيور كولي : « البحث عن الدين الحقيقي » ، حول الصراع بين الدينين الاسلامي والمسيحي وفيه « وهكذا تقهقرت قوة الهلال امام راية الصليب وانتصر الانجيل على القرآن » .

(٢٨) مقال « استيقاظ اسيا » برافدا ١٩١٣ ونشر في كتاب « لينين وحركة التحرر الوطني في الشرق » دار التقدم موسكو ص ٩٧ .

(٢٩) مقاله « بداية مرحلة جديدة في ثورة الشعب » مجلة قضايا السلم والاشتراكية عدد نيسان ٤ عام ١٩٧٩ .

(٣٠) صدرت في ١٤ تموز ١٩٢٠ في مجلة كومونيستيشكي انترنشال العدد ١١ .

٣١ — اورد ذلك الدكتور ماهر الشريف في كتابه « الاممية الشيوعية وفلسطين ١٩١٩—١٩٢٩» ، دار ابن خلدون، بيروت — ١٩٨٠ ص٤١ .

عمر سعادة

دوائر على سطح الماء

١

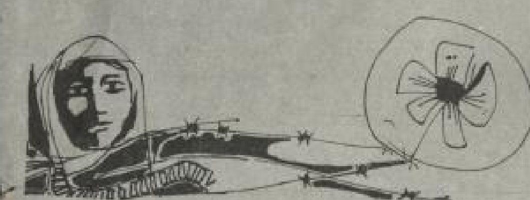
ـ قطعتني المسافات .. لم اعد اقوى على السير .
ـ تشجعي .. انه حلم الاطفال ، يجب ان نحمله الى الشاطيء الاخر .
ـ ولكنهم يحاصروننا من الجهات الاربع ..
ـ هنالك دائما طريق يتمرد على الحصار .
ـ نعم ولكنه ربما كان اسوا من الحصار .. انك لا تعرف حتى الى اين ينتهي هذا الطريق ؟ ..
ـ الحق معك ، فهذا الطريق يبدو وكانه بلا نهاية .. ولكن ليس امامنا خيار اخر .. عندما يحمل المرء حزن الاطفال المعشش فى عيونهم ثلاثين سنة ، تسقط كل الخيارات الاخرى ويصبح السير على هذا الطريق



قدرا لا يقاوم ..
ـ ولكن الى متى ؟؟
ـ الى ان نصل ، او ينتهي الطريق .. او ننتهي نحن .

٢

والدي المحترم :
اعرف انني قد خذلتك وخيبت آمالك .
واعرف ايضا ، انك تنظر الي كصفقة خاسرة تشوه سجلك التجاري الحافل بالصفقات الرابحة ..
لقد كنت تبحث عن وريث يكون نسخة عنك ،عن اسم يزين واجهات محلاتك التجارية ... عن ببغاء يردد على مسامع الاخرين اخبار فتوحاتك وانتصاراتك فى عالم الاسهم والمضاربات .
ولكن الحقيقة كانت اكبر منا يا والدي .. اكبر منك ومني .. فقد عرفت من اولاد المخيم ـ الذين كنت تمنعنى من اللعب معهم ـ انني فلسطيني .. كانوا



عباقرة يا ابي .. علموني معنى ان يكون الانسان فلسطينيا .. وهكذا بدات اشعر انني اختنق فى عالمك الصغير ، الذي لا تتجاوز حدوده حدود خزانتك الحديدية .
لم اكن احاول ان اخذلك فى اعز مشاريعك،ولكنني لم اعد احتمل ان نكون جميعا (انا وانت واولاد المخيم) صفقة كبيرة .. خاسرة .
ابي الحبيب : للمرة الاولى منذ سبع سنوات اشعر انني بحاجة اليك ... الى رضاك ، فانا الليلة راحل الى الوطن .

٣

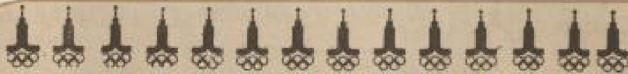
ملعون ابو الدنيا ، انها حظوظ .. مجرد حظوظ .
عوض الاقرع اصبح شيخا معتبرا وقارىء موالد مشهور ، مع انه لا يفك الخط ..
حمدان الضبع صار بوابا فى المحكمة ، وشاهد زور يكسب ذهبا ..
حتى سالم .. سالم العبيط ، ابتسم له الحظ ، وها هو يعمل سائق شاحنة زبالة .
من يصدق ان هؤلاء المجاذيب اصبحوا يحتلون مراكز مرموقة ، الا انا .. انا الذي نهلت العلم حتى اخره ، وحزت على الشهادة الابتدائية ، وقرات كل المؤلفات القيمة من سيرة عنترة وتغريبة بني هلال حتى اخر روايات ارسين لوبين .. ومع ذلك لم اجد حتى الان وظيفة تليق بي .. مجرد بائع يانصيب ، ابيع الحظ للاخرين والعن هذه الدنيا لانها .. حظوظ .. ملعون ابو الدنيا ..

(عن مجلة المرأة الفلسطينية)



الجديد

* شهرية ثقافية ـ تأسست في حيفا عام ١٩٥١ *





الالعاب الاولمبية

موسكو ١٩٨٠

